رواية

روح وحياة

إبراهيم طه شوكت

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادى

مدير الإنتاج

أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى
الكتاب : روح وحياة
المؤلف : إبراهيم طه شوكت
تصنيف الكتاب : رواية
تصميم وإخراج : أحمد عبد الحليم
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٢٢٢٨٩ / ٢٠١٧
الترقيم الدولى : 978 - 977 - 776 - 508 - 4

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة

التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢

Email : yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

إهداء

إلى :

التي أشقاها جمالها وعانت منه ما عانت .

إلى :

من حباها الله عقلاً راجحاً ونفساً سامية مع هذا الجمال الطاغي فزاد من شقائها .

إلى :

من حافظت علي العفة فكانت كالملاك الطاهر .

إلى :

من أحبته وأحبها بصدق وإخلاص .

إلى :

من كان عفوفًا سامياً في حبه .

إلى :

من ذابت فيه وذاب فيها .

إليكما هذه قصتكما أرويها بصدق ...

إهداء خاص

إلى روح حفيدي عبدالرحمن

غبت عني جسداً

ولكنك أمامي روحاً

قد لا تراك عيني

ولكن يراك قلبي

جدك

شوكت

الجـزء الأول

الفصل الأول

اجتمعت النسوة الأربع في صالة المنزل، فقد دعتهن صاحبة المنزل، لتناول الغذاء ... كن زميلات عمل في وزارة الزراعة. السيدة سميحة صاحبة المنزل ترحب بصديقاتها مبدية سعادتها لتشريفهن إياها بالزيارة.

قالت السيدة صفية احدي المدعوات :

- عندي اقتراح، وأرجو توافقوني عليه.

عم الصمت جميع الحاضرات لمعرفة الاقتراح .قالت صفية :

- أقترح أن نجتمع كل يوم جمعة كل أول شهر في منزل واحدة مننا .

قالت السيدة سعاد:

- فعلاً اقتراح وجيه وأنا موافقة عليه.

قالت رابعتهن السيدة أصيلة:

- ومين ما يوافقش علي اقتراح جميل زي ده .

ثم استدرات الجميعات لفتاة قادمة .صاحت السيدة صفية :

- بسم الله ما شاء الله اللهم صلي على النبي، سبحان الخلاق العظيم، ويا أرض احفظي ما عليكِ

قالت السيدة سميحة :

- دي بنتي محفوظة
- ما شاء الله ما هذا بشرا .

اتجهت محفوظة بعد ذلك إلي السيدة أصيلة التي قالت وهي تسلم عليها :

- مش قادرة أتكلم وأقول أي حاجة، ربنا يحميكي يا بنتي لشبابك .

بعد أن فرغت الفتاه من التحية، جلست معهن غير مبدية أي أثر لما سمعته من إطراء علي جمالها، مما يعني أن هذه الكلمات لم تترك أثراً في نفسها لكثرة ما سمعتها من الغير، حتى أنها أصبحت شيئاً معتاداً تسمعه من كل جديد يعرفها .

قالت صفية موجهة كلامها إلي محفوظة :

- وإن شاء الله هتخشي أي كلية ؟

أجابت محفوظة :

- أنا قبلت في كلية التجارة .

قالت صفية :

- ربنا يوفقك يا بنتي .

علق الجميع " آمين" عندئذ دخلت فتاة أخري جميلة أيضاً، ولكنها لم تكن في جمال سابقتها .

قالت السيدة سمحية :

- دي بنتي سلمي .

سلمت سلمي علي المدعوات اللائي امتدحن جمالها ولكنهن لم ينبهرن بجمالها مثلما حدث مع أختها. ابتسمت سلمي ابتسامة جميلة، تنم عن رضائها بما قيل عنها، وأنها تعرف أنها جميلة، وإن لم تكن في جمال أختها ثم حضر صبي في سن الثامنة من عمره يكاد يقفز ولا يمشي، قدمته سميحة لهن علي أنه ابنها أحمد.

قالت سعاد ضاحكة :

- اللهم صلي على النبي، عيالك حلوين قوي يا سميحة – أنتي جايبة الجمال ده كله منين ؟

قالت أصيلة :

- سميحة قمر ولازم عيالها يطلعوا حلوين زيها.

قالت صفية :

- الظاهر ان المرحوم أبوهم كان جميل قوي .

ضحك الجميع ما عدا سميحة التي سرحت بخيالها فقد تذكرت زوجها الراحل شعرت صفية بالحرج عندما رأت سميحة وقد سرحت بخيالها وقالت :

- أنا آسفة يا سميحة انى فكرتك بالمرحوم .

قالت سميحة :

- لا أبداً مفيش حاجة، علي فكرة هو عايش معايا علي طول وماغبش عني لحظة .

كان الكل يعرف أن سميحة لم تتزوج بعد وفاة زوجها، وأنها تعيش وحيدة متفرغة لتربية أولادها، وأنها تعيش علي ذكري زوجها الراحل . بعد فترة قصيرة قالت سميحة لبنتيها :

- يلا يا بنات جهزوا السفرة .

قامت الفتاتان وأعدتا المائدة .ثم قالت إحداهما :

- خلاص يا ماما السفرة جاهزة .

وجهت سميحة كلامها إلي ضيوفها قائلة .

- اتفضلوا

تناولت المدعوات طعام الغذاء ثم جلسن في مكانهن السابق، بينما تولت الفتاتان رفع الأطباق .بدأت السيدات يثرثرن في أمور شتي، إن

النساء إذا اجتمعن ثرثرن في شيء تافه . لم يكن هناك أمر بعينه يتحدثن فيه، بل أمور متفرقة، مشاكل العمل، الأسعار، طرق طهي بعض المأكولات . . . وهكذا . وعندما بدأ النهار في الادبار، انصرفت المدعوات كل إلي بيتها .

جلست سميحة مع أولادها بعد انصراف المدعوات، قالت محفوظة:

- يا ماما ضيوفك ظراف .

قالت الأم :

- إحنا مش زميلات وبس إحنا بنعتبر نفسنا اخوات.

كانت سميحة تذهب إلي الخمسين من عمرها، وتتمتع بقسط وافر من الجمال، وتزوجت حافظ عن حب، وأنجبت منه أبناءها الثلاث، إلا أنه مرض فجأة، ولم يمكث في مرضه طويلاً ثم مات .

كبري بناتها محفوظة رائعة الجمال، جمالها طاغ، جسدها رائع التكوين، يقطر أنوثة، بشرتها ملساء وتنبض بالحيوية والصفاء . إضافة إلي ذلك فهي لماحة وذكية، عندما تتكلم كأنها تشدو، حتي صوتها ينضح أنوثة .

الابنة الصغرى سلمي، جميلة أيضاً، ولكنها ليست في جمال أختها.... جمالها من النوع الهادي، أما الصبي أحمد، فهو خفيف الظل، دائم الحركة، يداعب أختيه دائماً، ويدبر لهما المقالب، وفي نهاية كل نادرة يتعانقون ويقبل كل منهم الآخر .

هؤلاء هم أولادها، الذين تعيش من أجلهم بعد وفاة زوجها منذ عدة سنوات، وقد رفضت أن تتزوج رغم ما تقدم لها من رجال، وقررت أن تعيش لأولادها، مخلصة لذكري زوجها الراحل واستطاعت أن تجعل أولادها لا يشعرون بلوعة اليتم.

***

بدأت الدراسة، وانتظمت محفوظة في الحضور بالكلية، ومنذ اليوم الأول بدأ الطلاب يحومون حولها، ويتهافتون عليها تهافت الذباب علي قطعة الحلوى، ولما كانت محفوظة تعرف قيمة جمالها فإنها كانت تنتحي جانباً مع الطالبات فقط، فإذا انضم إليهن طالب أو بعض الطلبة انصرفت عنهن .

كانت تتعالي علي الشباب، فقد كانت تعتقد أن هذا الجمال الـذي حباها الله به لا يجب ولا يصح أن يبتذل في صداقات غير ذات قيمة، أو مع شباب لا يعتزون بكرامتهم، ولا يترفعون عن ابتـذال أنفسـهم في

التـودد إليهـا .. كانـت تصـف هـذه الأفعـال بالتصـرفات الصـبيانية الصغيرة من صبية صغار، أضف إلي هذا أنها لم تكن في حاجة إلي أن يتودد إليها شاب، أو تتودد هي إليه، فإن جمالها كان يشد انتباه من يراها، بحيـث أصـبح هـذا يمثـل قيـداً عليهـا . . ولهـذا عرفـت بـين زميلاتها بالتعالي مع أن هـذا الأمـر لم يكـن تعاليـاً، وإنمـا كـان عـزة بالنفس وتقديراً لنفسها لما هي عليه من جمال .

كانت تقول لنفسها إن الله خلقها جميلة، إن جمالها هبة وأمانة لديها، ولايجب أن تفرط فيه . ويجب عليها أن تعطيه قدسيته، وتترفع به عن مستوي الطامعين فيه .

ذات مرة كانت واقفة في صحن الجامعة ضمن زميلاتها وحضر أحد الطلبة وحياهن وقدمته إحداهن قائلة :

- أخويا زكريا، كلية الهندسة سنة ثالثة .

أدركت محفوظة بغريزة الأنثى وبذكائها أنه ما جاء إلا ليتعرف عليها مستمداً جرأته من زمالة أخته لها .

قالت له :

- وإيه اللي جاب الهندسة هنا في التجارة ؟

قال زكريا مبدياً السبب الواهي :

- أنا جاي لأختي عشان نروح سوا

أرادت محفوظة أن تغيظه فقالت :

- يعني انتم ناوين تروحوا ؟

أدرك زكريا أنها عرفت مقصده فقال متداركاً :

- خليها معاكوا أنا مش مستعجل .

أرادت أن تغيظه أكثر فقالت :

- يعني حتفضل معانا ؟

أحست أخت زكريا أن أخاها وقع في مأزق لم يكن في الحسبان، وأرادت أن تنقذ أخاها مما وقع فيه،فقالت لمحفوظة :

- وفيها إيه لما يقعد معانا شوية قبل ما نروح .

قالت محفوظة :

- ولا حاجة براحتكم، بس أنا مستعجلة ومضطرة أمشي

وانصرفت ... نظرت الفتيات كل منهن إلي الآخري وأدركن مدي الإحراج الذي وقع فيه زكريا وأخته . هرول زكريا خلفها وأحست به فوقفت قائلة :

- إيه يا أستاذ زكريا في حاجة ؟

- انتي بتتكلمي كده ليه ؟

- أمال عايزني أتكلم إزاي ؟
- علي الأقل يكون فيه شيء من المجاملة ؟
- ليه ؟
- لأني أخو زميلتك .
- هات من الآخر، انت عايز إيه ؟
- مش عايز حاجة يا ستي .
- لأ، انت عايز تتعرف على .
- أتعرف عليكي ؟
- أيوه .
- وفيها إيه لما أتعرف عليكي ؟
- وبعد ما تتعرف على ؟
- نبقي أصدقاء
- وبعد الصداقة ؟
- صداقة برضه
- يعني حنفضل أصدقاء على طول ؟
- وإيه اللي يمنع ؟

- بكـره أنـا هـاحتجوز وأنـت حتتجـوز بـرده نفضـل أصـدقاء وأحنـا متجوزين؟

لم يرد زكريا، وإنما نظر إليها نظرة المهزوم . وأكملت هي قائلة :

- أجري يا أستاذ شوفلك واحدة غيري اتسلي عليها .

انصرفت، وظل هو واقفاً في خجل وحيرة . قالت أخت زكريا لزميلاتها :

- إيه الجليطة اللي البنت ديه فيها، هي متقنزحة علي إيه ؟ عشان حلوة، وإيه يعني فيه بنات أحلي منها بكتير ومش كده .

قالت واحدة من الزميلات :

- بصراحة هي من حقها تتقنزح وتتدلع كمان .

قالت أخت زكريا :

- والنبي تسكتي وأنتي دمك تقيل زيها

ردت الزميلة بسخرية :

- ها ها .. دمي تقيل زيها ؟.. دا أنتي وأخوكي اللي هايفين .

كادت الزميلتان تشتبكان في عراك، لولا تدخل الزميلات . عاد زكريا إلي مجموعة الفتيات واجماً وقال لأخته .

- يلا بينا .....

* * *

كانت الطالبات يتظاهرن بودها رغم حقدهن عليها في قرارة أنفسهن، بسبب جمالها المبهر فقد كن يعتقدن أنها تخطف الابصار، وكانت عندما يحاول أحد الطلبة الاقتراب منها تنظر اليه شزراً وبنظرة احتقار مما يجعله يذوب خجلاً وينصرف، الوحيدة التي كانت تخلص لها، وتشعر محفوظة معها أنها ترتاح إليها هي زميلتها إنصاف، رغم أنها لم تكن تتمتع بأية مسحة من الجمال، إذ كانت لا تقارن نفسها بها، ولا تطمع في أن تكون مثلها، فقد رضيت بما هي عليه .

وهكذا سارت بها الحياة الدراسية، كان جمالها المبهر يقف حائلاً بينها وبين تكوين صداقات، فالفتيات يشعرن بالفارق الشاسع بين جمالها وجمالهن، رغم ما كن يخفين من مشاعر الغيرة والحسد .

كانت هي بذكائها تشعر بذلك، ولهذا لم تتخذ لنفسها صديقة تخلص لها سوى زميلتها إنصاف، أما بالنسبة للشباب فقد كان الفشل دائماً نصيبهم لصدها لهم ولعدم رغبتها في تكوين صداقات معهم، حيث لا تخلص النوايا، وتجنباً لما قد يحدث من مشاكل هي

في غني عنها، أضف إلي ذلك أن جمالها الفائق كـان يفـرض رهبـة في نفـوس الشـباب ممـا يجعلـهم يحجمـون عـن اقتحـام هيكـل جمالهـا المقدس.

ورغم أن الحياة الجامعية حرية وانطـلاق ومـرح،وفترة يتمتـع فيـا الشباب بتحقيق ذاتهم، الا أن محفوظة اتخذت لنفسها مساراً خاصـاً، وهـو عـدم الانـدماج الكامـل في هـذه الحيـاة، ويكفيهـا زمالـة بعـض الزميلات.

وذاع صيتها في كليتها والكليات المجاورة، وأصبح الطلاب ينظـرون إليها كما ينظر المرء لإلهة الجمال، بعضهم كان لا يجرؤ على الاقتراب منها مهابـة وخشـية، وبعضـهم كـان لديـه الجـرأة لكـن الفشـل كـان نصيبهم .

ذاعت شهرة جمالها في كليتها والكليات المجاورة لدرجة أن بعـض الطلبة من الكليات الأخري كانوا يحضرون لكليـة التجـارة ليشـاهدوها مما شكل قيداً على حريتها، فكانـت تـتكلم بـتحفظ وتتصـرف بـتحفظ أيضاً . كان هذا شيئاً يسعدها أن تسمع الاطـراء علـي جمالهـا، ولكنـه كان قيداً علي حريتها في التصرف كيف تشاء.

□

الفصل الثاني

إنتهت الدراسة بالكلية، وحصلت محفوظة على البكالوريوس، ولم يعد أمامها سوي البحث عن عمل . اتصلت بها صديقتها إنصاف قائلة :

- وزارة التجارة أعلنت عن طلب وظائف، بكره ان شاء الله أعدى عليكي ونروح نقدم أوراقنا سوا .

في اليوم التالي حضرت إنصاف، واصطحبتها إلى مبني وزارة التجارة .. وجدتا جمعاً كثيراً من الشباب والفتيات الراغبين في تقديم أوراقهم، وقد وقفوا صفوفاً طويلة قالت محفوظة لإنصاف :

- معقول حنفضل واقفين ده كله لغاية ما ييجي علينا الدور
- عندك حل ؟
- تعالي نلف شوية ونشوف طريقة .

تجولتا حول الصفوف، لمحهما أحد الموظفين الموكل إليهم تنظيم الصفوف والإشراف عليها، وأشار إليهما، فتقدمتا إليه، ودفعهما إلي الأمام حيث قدمتا أوراقهما .

إن من الممكن للجمال أن يفتح أبواباً مغلقة ويأتي بأمور مفيدة في بعض الأحيان، بغض النظر عما قد يسببه في بعض الأحيان من مشاكل.

وبعد حوالي الشهر، كان موعد الاختبار، كان شفهياً، عقدت له عدة لجان، كل لجنة تختص بعدد معين من الأسماء طبقاً للحروف الأبجدية، ولهذا كانت لجنة محفوظة غير لجنة إنصاف . دخلت محفوظة لجنتها، وكانت اللجنة مكونة من ثلاثة رجال، ما أن دخلت عليهم محفوظة حتى تسمرت عيونهم عليها .. نظر كل منهم إلى الآخر دون أن يدري . لم يتكلم أحد منهم . جلست أمامهم في ثبات وثقة، قال أحدهم :

- اسألها يا أستاذ علي

قال الأستاذ علي :

- اسألها أنت يا أستاذ عبد الله

لم يتكلم الأستاذ عبد الله . عندئذ قال الثالث .

- قولي يا بنتي أي حاجة

كان واضحاً أنهم لم يجدوا ما يقولوه، فقد تاه منهم الكلام، وضاعت منهم الأسئلة، وخار ذكاؤهم أمام جمالها، وأدركت محفوظة

بذكائها أن جمالها ألجمهم، وأنهم أصبحوا أمامها موضع التلميذ من الأستاذ، ابتسمت ابتسامة ساحرة وقالت في هدوء .

- أقول إيه يا أستاذ، حضرتك أسألني وأنا مستعدة للإجابة

قال ثانيهم :

- الأستاذ يقصد يعني إيه هواياتك وتحبي تشتغلي إيه وهكذا .

أدركت أنهم يقولون أي كلام .. مجرد كلام لا معنى له ولا علاقة له بالعمل المطلوب، فأرادت أن تنهي هذه الأزمة التي أحدثها جمالها فقالت :

- أنا خريجة تجارة بتقدير جيد، أما من حيث العمل فأفضل أن يكون في مجال تخصصي .

قال ثالثهم :

- إتفضلي يا بنتي مع السلامة .

بينما قال هامساً :

- ياريت تفضلي قاعدة على طول

نهضت بوقار وألقت عليهم السلام وانصرفت نظر أعضاء اللجنة كل منهم إلي الآخر وسأل أولهم :

- نديها كام درجة ؟

قال الثاني :

- لو الأمر كله بيدي أديها الدرجة النهائية

قال الثالث :

- أنا موافق . علي الأقل تبقي معنا في الوزارة .

تناول أعضاء اللجنة كشف الاختبار، وكتبوا فية الدرجة ووقعوا عليه. وعندما خرجت لم تجد صديقتها إنصاف، فانتظرت فترة من الوقت حتى خرجت إنصاف من اللجنة سألتها محفوظة :

- عملتي إيه ؟
- عصروني زى الليمونة
- سألوكي في إيه ؟
- معلومات تجارية ومعلومات عامة
- وجاوبتي كويس ؟
- الحمد لله جاوبت كويس، بس أهم حاجة ربنا يستر وننجح . وإنتى عملتي إيه سألوكي في إيه ؟
- ولا حاجة
- يعني إيه ولا حاجة ؟
- صدقيني ماسألونيش في أي حاجة، مجرد كلام فارغ

- يعني إيه كلام فارغ ؟
- هوايتك إيه ؟ تحبي تشتغلي إيه ؟ كلام عبيط . يلا بينا نروح

بعد عودتها للمنزل حكت لأمها وأختها ما حدث، ضحكت الأم وقالت :

- يعني بالاختصار ما إمتحنوكيش

قالت محفوظة :

- الظاهر كده أنا اللي امتحنتهم .

قالت الأم :

- يعني الوظيفة طارت

قالت محفوظة :

- بالعكس أنا كده ضمنت الوظيفة وبكرة تشوفوا

كانت فعلاً متأكدة من نجاحها، فإن جمالها دائماً يفتح لها الأبواب المغلقة التي تريد فتحها، رغم إنه كان دائماَ حائلاً بينها وبين كثير من الأمور، فقد حرمها مثلاً من أن يكون لها صديقات يخلصن لها، وتستطيع أن تبوح لهن بمكنونات قلبها، باستثناء إنصاف . . فرض عليها جمالها سياجاً من الرهبة أحياناً، ومن الغيرة أحياناً، ومن الحسد والحقد أحياناً أخري .

بعد مرور حوالي الشهر منذ نهاية الإختبار، اصطحبت صديقتها إنصاف إلي ديوان عام وزارة التجارة لتعرفا نتيجة الإختبار، كانت إنصاف قلقة ومتلهفة لمعرفة النتيجة رغم أنها كانت متأكدة من صحة إجابتها أثناء الإختبار أما محفوظة فقد كانت هادئة الأعصاب، وعندما وقفتا أمام كشوف أسماء الناجحين كان أسمها في مقدمة الناجحين، بينما لم تجد إنصاف أسمها في كشوف الناجحين . عانقتها إنصاف بينما أسفت هي لعدم نجاح إنصاف التي قالت لها :

- خيرها في غيرها، مرة تخيب ومرة تصيب والمسابقات جاية كتير أبقي أقدم فيها

بعد عودتها إلى المنزل، كانت أختها سلمي أول من قابلتها وسألتها:

- عملتي إيه ؟

ابتسمت محفوظة وقالت بثقة :

- يابنتي لما أقول حاجة إبقوا صدقوني طبعاً نجحت

صرخت سلمي وهي تعانقها :

- هيه، مبروك، ألف مبروك

حضرت أمها مسرعة . قالت لها سلمي :

- محفوظة نجحت في الوظيفة يا ماما

عانقتها أمها مهنئةً بينما هي تقول لأمها :

- أنا مش قلت لكم يا ماما إني حنجح
- وإيه اللي خلاكي كنتي متأكدة من نجاحك ؟
- بصراحة يا ماما اللجنة أمتحنت جمالي مش ذكائي

ضحكت الأم وهي سعيدة بما تقوله ابنتها وسألتها :

- إنصاف عملت إيه ؟
- تصوري يا ماما أنها مانجحتش مع أنها جاوبت على كل الأسئلة

سبحان الله يابنتي، الدنيا حظوظ وربنا يوفقها في مسابقة تانية

لم يمض أسبوع إلا وكانت قد أعدت ما هو مطلوب منها من مستندات التعيين في الوظيفة، وقدمتها إلى شئون العاملين بالوزارة، الذين أعطوها خطاب إقامة بالعمل في الشئون المالية .

توجهت إلى الشئون المالية، ومعها خطاب الإقامة والعمل، وقابلت نائب المدير العام، الذي أشر علي خطاب شئون العاملين بإقامتها بالعمل في قسم الشطب، وتوجهت إلي قسم الشطب وقابلت رئيسة قسم الشطب وسلمتها خطاب الإقامة بالعمل ونظرت إليها السيدة كوثر

عبد اللطيف رئيسة القسم – كما هو مكتوب على مثلث خشبي فوق مكتبها – في ذهول، وطلبت منها الجلوس وقالت لها :

- احنا حظنا كويس اللي حيكون الجمال ده كله معانا
- متشكرة جداً يا مدام على المجاملة اللطيفة من حضرتك
- والله العظيم أنا ما بجامل، أنا بقول الحقيقة
- ربنا يخليكي يا فندم كلك ذوق

نظرت محفوظة فإذا بها تجد أن كل موظفي القسم ينظرون إليها بإعجاب شديد . قالت لهم السيدة كوثر :

- أختكم الآنسة محفوظة موظفة جديدة معانا

قال الجميع :

- أهلاً وسهلاً .

وقعت محفوظة علي اقرار استلامها العمل في قسم الشطب، واشرت عليه السيدة كوثر بالاعتماد كونها رئيسة القسم .

أشارت الرئيسة إلي مكتب خال وقالت :

- ده مكتبك يا آنسة محفوظة أتفضلي أقعدي عليه .

توجهت محفوظة إلي مكتبها وجلست علي كرسيها . كان مكتبها ضمن ستة مكاتب في حجرة مستطيلة في صدرها مكتب رئيسة القسم مدام كوثر .قامت مدام كوثر بتقديم زملائها لها قائلة :

- دى أختك مدام نجوي، ودي أختك مدام سماح وده الأستاذ سعد وده الأستاذ أنور وده الأستاذ مصطفي .

قالت مدام نجوى :

- أختنا محفوظة آنسة ولا متجوزة؟

قالت محفوظة :

- أنا لسه آنسة

قالت سماح :

- معقول الشباب أعمي ومش شايف الجمال ده ؟.

قالت نجوى :

- الظاهر إن جمال محفوظة هو اللي دوخهم وخلاهم مش شايفين

أرادت محفوظة أن تنهي هذا الحديث الذي تعتبره سخيفاً فقالت:

- لسه النصيب مجاش

دخل ساعي المكتب وقالت السيدة كوثر رئيسة القسم :

- تشربي إيه يا آنسة محفوظة ؟

- متشكرة يا مدام كوثر

قالت مدام كوثر :

- الموظف الجديد له مشروب واحد علي حسابي أول يوم له في الشغل، وبعد كده يبقي الشرب علي حسابه .

ضحك الجميع . أصبحت محفوظة موظفة بالشئون المالية، وسارت الأمور بعد ذلك بشكل طبيعي، وكما توقعت تملق من الزملاء، وتحفظ من الزميلتين رغم التضاحك الظاهري .

و كما ذاع قبلاً صيتها في كليتها والكليات المجاورة، ذاعت شهرتها أيضاً في مجال عملها والأقسام المجاورة، لدرجة أن الموظفين والموظفات في الأقسام الأخرى كانوا يحضرون إلى قسم الشطب ليروا هذا الجمال . الأمر الذي جعلها تلزم جانب الجد، فقد أصبحت تري أن العيون دائماً تراقبها وتتبعها، وقد ألقي عليها هذا عبئاً ثقيلاً جعلها تتحفظ في أقوالها وأفعالها كما أنها لم تكن في حاجة إلي الإبتذال في القول أو الفعل، حتي تجذب الأنظار إليها .

مرت عدة أشهر أبلغتها أثناءها صديقتها إنصاف أنها وجدت عملاً في وزارة الصحة، وكانتا تلتقيان كل عدة أيام . وذات مرة قالت لها محفوظة :

- نفسي يكون لي صديقة في الشغل أتكلم معاها براحتي وأحس أنها مخلصة لي .
- قالت لها إنصاف:
- أنتيِ معاكي إتنين في المكتب، نجوى وسماح تقدري تاخديهم أصحاب
- أولاً دول متجوزين وقرشانات
- وإيه يعني
- أنا مش حاسة ناحيتهم إنهم يكونوا مخلصين لي
- يعني حيعملوا إيه ماتقدميش سوء النية
- نظراتهم مابتريحنيش وأنا دايماً إحساسي مابيخيبش
- طيب ما أنا صاحبتك
- أنتي يا إنصاف روحك حلوة وحقيقي مخلصة، وأنا فعلاً بحبك وبا أعتبرك أختي الثانية
- ممكن يكونوا زيي وأحسن منى
- مش عارفة ليه يا إنصاف الناس بتخاف تيجي ناحيتي
- كلام مش معقول اللي يتقوليه ده حيخافوا من إيه ؟
- ما اعرفشي، ده إحساسي، وفعلاً لما بيتكلموا معايا با أحس أنهم بيمثلوا، مش كلام حقيقي من قلوبهم

- أنتيِ عايزة الصراحة ؟
- طبعاً
- عشان أنت حلوة قوي
- وإيه يعني ؟
- ما هي المصيبة في جمالك ده... فاكرة الكلية والطلبة اللي كانوا دايما بيحوموا حواليكي ؟
- طبعا فاكرة .
- كان معظمهم ما بيجرؤش يقربوا منك .
- ليه ؟
- من جمالك .
- يادي المصيبة، جمالي جمالي، ذنبي إن أنا جميلة ؟ أعمل إيه في نفسي عشان ما أبقاش جميلة ؟ هو أنا اللي خلقت نفسي ؟ ربنا خلقني كده .
- ما هي الناس بشر يا محفوظة .
- طيب وهو أنت مش بشر زي الناس .
- مش كل الناس زيي . فيه زيي وفيه مش زيي .
- يعني أعمل أيه ؟ قوليلي أعمل إيه ؟

- ما تعمليش حاجة، خليكي طبيعية خالص، حتلاقي الناس طبيعية معاكي .
- وعشان أكون طبيعية أعمل إيه ؟
- متحبكهاش قوي لو حد جه يتكلم معاكي إتكلمي معاه عادي، وخليكي طبيعية مع الناس من غير ما تتعالي عليهم .
- أنا بتعالي علي الناس ؟
- بصراحة أيوه يا محفوظة أنا صاحبتك من أيام الكلية، وعارفاكي كويس أي حد كان بيحاول يتقرب منك بتصديه، وكان معظمهم يخاف لتجرحيه وعشان كده بقولك خليكي طبيعية مع الناس، وياستي لو لقيتي حد مش كويس إبعدي عنه وخليه يقف عند حده .
- والله كلامك معقول يا إنصاف، بس أي حد يتكلم معايا أتكلم معاه
- ما إللي عايز يتكلم يتكلم طالما في حدود الأدب
- ما هو أنا خايفة ليعدي حدود الأدب وتبقي مشكلة
- المهم انت خليكي جد وفي حدودك
- لا ياستي الحرص كويس . وأحسن حاجة أبعد عن الشر وغني له .

الفصل الثالث

استقبلت السيدة سميحة أختها السيدة سميرة، وبعد فترة قالت لها سميرة :

- جاي لكم عريس .

تهلل وجه سميحة وقالت :

- أهلاً وسهلاً ... إيه الحكاية ؟

توقعت سميحة أن يكون العريس القادم سوف يطلب يد محفوظة . ولكنها فوجئت بأختها تقول :

- ده شاب من قرايب جوزي شاف البنتين – محفوظة وسلمي – وهما عندي فأعجب بسلمي، وطلب مني أتكلم معاكي وآخد ميعاد ييجي وتشوفوه .

اسقط في يد سميحة، فقد كانت تتوقع أن يكون الخاطب طالباً يد محفوظة وليس سلمي – حيث أن محفوظة هي الأكبر والأكثر جمالاً وقد أنهت دراستها، أما سلمي فهي الأصغر والأقل جمالاً، وما زالت طالبة .

قالت سميحة :

- و إزاي أوافق أجوز الصغيرة قبل الكبيرة ؟

قالت أختها :

- دي مسائل قسمة ونصيب، ورأي يا أختي اللي ييجي نصيبها نقول له أهلاً
- لأ ماقدرش كمان هي لسه طالبة .
- وإيه يعني، ممكن تشوفوه الأول وإذا لقتوه كويس ويعجبها شكله يشبكها لغاية ما تخلص .
- لا يا سميرة مش عايزة أشغل البنت .
- مش حتنشغل ولا حاجة، دي مجرد خطوبة .
- لأ ما أقدرش، برده حتنشغل وأنا مش عايزة أشغلها لغاية ما تخلص.
- طاوعيني يا سميحة ؟
- ما أقدرش يا سميرة، كمان نفسية محفوظة لما تلاقي أختها الصغيرة اتخطبت وهي لسه مع انها الكبيرة . . ما أقدرش يا سميرة .

قالت سميرة بيأس :

- والله البنات بناتك وإنت حرة فيهم .

وبعد أن انصرفت سميرة، جلست سميحة وحيدة وجعلت تفكر وهي حائرة وسألت نفسها : العريس رأي البنتين، ولكنه أراد الأقل

جمالاُ، أعجب بها وهي الصغرى ومازلت طالبة فلماذا لم يختر الكبرى الأكثر جمالاً والتي أنهت دراستها وأصبحت تعمل ؟ كيف توافق على زواج الصغرى قبل الكبرى، كيف يكون حال ابنتها الكبرى لو وافقت ؟

لم تكن محفوظة وأختها حاضرتين حديث أمهما وخالتهما، وعند عودتهما من الخارج لم تخبرهما أمهما بشيء مما دار بينها وبين أختها حرصاً على مشاعر محفوظة .

بعد حوالي أسبوعين حضر عمها خالد ومعه زوجته وإبنه عبد الوهاب.... كانت محفوظة وأختها سلمي وأخوها أحمد حاضرين في استقبال عمهم وإبنه وزوجته ليرحبوا بهم بحكم ما بينهم من قرابة وبعد أن مكثوا فترة من الزمن قال الأستاذ خالد موجهاً كلامه إلي سميحة :

- يا مدام سميحة إحنا يشرفنا نطلب إيد بنتنا سلمي لإبنكم عبد الوهاب

مرة أخرى أسقط في يد سميحة قالت :

- يا أستاذ خالد حضرتك عارف إن سلمي لسه طالبة وأنا مش عايزة أشغلها بأي حاجة لغاية ما تخلص دراسة .
- يا ستي إحنا نقرأ فاتحة ونحجز البنت لغاية ظروفها ما تسمح .

- معلش يا أستاذ خالد سيب الموضوع ده لظروفه الاولاد لسه صغيرين.

كادت أن تقول له أن يرجىء الخطوبة حتى تتم خطبة محفوظة، ولكنها حرصاً على مشاعرها ومشاعر إبنتها محفوظة لم تبح بذلك .

أدركت زوجة خالد أنها ترفض طلب زوجها بكياسة، فقالت :

- الظاهر أن سميحة هانم مش موافقة .

قالت سميحة :

- أنا ما قلتش كده، أنا بقول نسيب الموضوع ده حالياً، وربنا يفعل ما يشاء بعد كده.

هنا تدخلت سلمي قائلة :

- يا عمي أنا مش حلاقي أحسن من إبن عمي لكن أنا ما بفكرش في الموضوع ده دلوقتي وكل شيء قسمة ونصيب .

كان هذا الكلام قاطعاً لإنهاء الحوار ... استأذن العم وزوجته وإبنه في الانصراف ... انصرفوا وهم واجمون .

بعد انصرافهم جلست سميحة صامتة، وهنا قالت محفوظة :

- إنت ليه يا ماما موافقتيش على عبد الوهاب .
- أختك لسه صغيرة وبتدرس .
- متهيأ لي أن ده مش السبب الحقيقي .

- أمال إيه ؟
- السبب أنا طبعاً، أنتِ مش عايزة تجوزي سلمي قبلي .
- إيه الكلام الفارغ ده ؟.

قالت سلمي وهي تحاول مجاملة أختها :

- لا مش ده السبب، لأن أنا فعلاً مش موافقة .

كانت سلمي غير موافقة فعلاً قبل أن يكون هذا القول مجاملة لأختها، لم يمر أسبوع آخر إلا وقد تقدم ابن الجيران " محمد " طالباً يد سلمي وبالطبع كان جواب الأم هو الرفض .

أصبحت الثلاث في حيرة، الأم لا تريد أن تزوج الصغرى قبل الكبرى مراعاة لشعور الإبنة الكبرى، والإبنة الصغرى ماذا تفعل إزاء اللذين يريدونها ولا يريدون أختها، ولا تدري لذلك سبباً أما محفوظة فكانت في حيرة ما بعدها حيرة .. أبعد هذا الجمال الطاغي والأخلاق الفاضلة والسمعة الحسنة لا تجد من يطلبها ؟ إنها أجمل بكثير من أختها بل إن جمالها لا يحده حد، فما الذي يجعل الشباب يحجمون عن التقدم إليها ؟بل أن الذي زاد ألمها أن صديقتها أنصاف حضرت ذات يوم لزيارتها، وجلستا سوياً وإذا بها تقول لها :

- على فكرة يا محفوظة أنا جالي عريس .

- ألف مبروك يا حبيبتي، بيشتغل إيه ؟
- صاحب أخويا وزميله في الشركة .
- وأنتِ شفتيه ؟
- طبعاً وعارفاه .
- وموافقة عليه ؟
- يعني أنا ضامنة حد ييجي غيره . . . الحمد لله كده رضا .
- مبروك يا حبيبتي . . . ألف مبروك . .

وعانقتها وقبلتها .

وعندما خلت محفوظة بنفسها، وكانت في فراشها . تعجبت مما يحدث . . حتى صديقتها إنصاف التي لا تتمتع بأي قدر من الجمال تمت خطوبتها . . إنصاف التي تعرف تماماً عن نفسها إنها ليست جميلة بل وأحياناً كثيرة تتندر على نفسها . . . ليست جميلة ولكنها رغم ذلك مرحة باشة دائماً . . أما هي فمما يثير دهشتها أن يتهافت عليها الرجال ويسيل لعابهم عند رؤيتها ومع ذلك لم يتقدم أحد لطلبها للزواج . . . وساءلت نفسها : أيكون جمالي الفائق هو السبب؟ لو كان هو السبب فملعون هذا الجمال، ملعون هذا الجسد ... ولكن كيف يكون الجمال نقمة وليس نعمة ؟ لا أدري . . . رحماك يا

ربي .. الصبر .. ليس أمامي سوي الصبر، ما ذنب أختي أكون حائلاً بينها وبين الزواج ؟إني أظلمها ويجب أن تنال حظها وحقها . ولهذا قالت لأمها :

- لازم توافقي على جواز أختي لو جالها واحد مناسب وماتربطهاش بي.

سكتت الأم ولم تجب . وفي أحد أيام الجمعة، وكما تعودت سميحة مع صديقاتها، كن مدعوات عند صديقتهن أصيلة، ولاحظت الصديقات مسحة من الحزن تعلو وجه سميحة وسألنها عمَّ بها .

قالت سميحة :

- دلوني أعمل إيه؟

قلن جميعاً :

- في إيه ؟

قالت سميحة :

- عندي مشكلة

قالت أصيلة :

- إيه هي ؟

- عارفين بناتي محفوظة وسلمي. سلمي هي الصغيرة وبيجي لها عرسان كثير مع إنها الصغيرة.. أما محفوظة رغم أنها الكبيرة وأجمل من أختها مفيش حد جالها.

قالت أصيلة :

- وإيه المشكلة بنتك محفوظة آية في الجمال بكره إن شاء الله ييجي لها عدلها .
- إزاي أجوز الصغيرة قبل الكبيرة ؟

قالت السيدة صفية :

- الحاجات دي قسمة ونصيب، ومش عايزة عواطف وعايزة العقل . . ترضي تقعدي الاثنين جنب منك ؟ ياستي مشي الصغيرة وبعدين ربنا يسهل للكبيرة .

تدخلت السيدة سعاد قائلة :

- احسبيها بالعقل لو لا قدر الله . . لو ما جاش حد لمحفوظة ترضي تقعدي الاثنين جنبك وإلا تمشي واحدة أحسن ؟ وعلي العموم محفوظة جميلة جداً وإن شاء الله حتتجوز على طول . . وبعدين يا ستي أنتِ مستعجلة على إيه ؟ البنت لسه صغيرة وبكره ياما حايجلها.
- المشكلة أن مفيش ولا واحد طلبها مع جمالها دا كله .

- يا ستي كل شيء بأوان، وكله بأمر ربنا، ولسه عدلها ماجاش أنتِ يعني مستعجلة على إيه ؟ دي بكره تتجوز أحسن جوازة .
- يعني رأيكم إيه ؟
- رأينا اللي ييجي عدلها يبقي مع السلامة .

اقتنعت سميحة برأي صديقاتها اللائي اتحدن كلهن عليه، وقررت أن توافق علي من يتقدم لأي منهما حتى ولو كان لسلمي وليس لمحفوظة .

عند دخول محفوظة مقر عملها، كانت تجذب أنظار الرجال والنساء علي السواء، حتى إن جمالها أصبح حديث الجميع، وأحست هي بذلك فكانت جادة في كل تصرفاتها . . كانت تفرض احترامها علي كل من يراها أو يتعامل معها ورغم ذلك فإن الأمر لا يخلو من عبارات الغزل التي كانت تسمعها سواء في مقر العمل أو في الشارع .

كان الأستاذ سعد في نحو الخمسين من عمره والأستاذ أنور كان في الأربعين أما مصطفي فكان في الثلاثين، وهو الوحيد الذي لم يكن متزوجاً بينهم مال الأستاذ أنور علي زميله مصطفي وقال له :

- أنت مش بتدور علي عروسة ؟ قدامك قمر . . . ملاك .

قال مصطفي :

- تقصد محفوظة ؟
- طبعاً هو في غيرها . . تحل من على المشنقة .
- لا يا عم .
- ليه يا أبني إنت حتلاقي جمال زي ده ؟ يخلي الحجر ينطق .
- ما هي دي المشكلة . . أنا ما أقدرش علي الجمال ده كله . . أنا عايز واحدة جميلة علي قدي .
- يعني إيه يا أبني ؟
- عايز واحدة أتجوزها وأحس أن ما حدش يبصلها إنما دي اللي يتجوزها الله يكون في عونه .

سمعهما الأستاذ سعد، فهمس في أذن أنور قائلاً :

- والله الواد ده عنده حق، مين يتحمل الجمال ده كله .

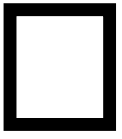

الفصل الرابع

في أحد الأيام حضرت إلي منزلهم جارتهم السيدة شكرية برفقة صديقة لها ومعهما شاب في نحو الخامسة والعشرين . بعد فترة قليلة قالت شكرية :

- دي صاحبتي الست ماجدة وده إبنها الباش مهندس سمير .
- أهلاً وسهلاً .
- أتكلم يا باش مهندس .
- أحنا يا ماما يشرفنا نطلب إيد الآنسة سلمي .

لم تفاجأ بطلبه وقالت:

- وحضرتك بتشتغل فين ؟
- ده كارت فيه عنواني وعنوان الشغل، وتقدروا تسألوا عني في شغلي وفي عنواني.

تناولت سميحة الكارت، ونادت على أولادها :

- تعالوا يا أولاد سلموا على الضيوف .

جاءت سلمي وأختها محفوظة وأخوها أحمد، وسلموا على الضيوف وجلسوا معهم . . ودار الحديث بينهم في ود . . . تحدث

سمير عن نفسه فقال أنه خريج كلية الهندسة، ويعمل في شركة الأتحاد، له من الأخوة ثلاث أخوات، كلهن متزوجات، وأخ أكبر هو الأستاذ شوقي ويعمل مدرساً بالمدارس الإعدادية أما الوالد فهو متوفي منذ فترة طويلة . . أحست سلمي بالارتياح تجاه سمير الذي كان يخصها بمعظم حديثه .

كان والدهم تاجراً واسع الثراء، وعندما مات قسمت ثروته عليهم فكان نصيب كل منهم مايجعله يعيش في بحبوحة .

إنصرف الضيوف بعد أن طلبت منهم سميحة مهلة قصيرة للتفكير في الأمر ووعدتهم بالرد مع السيدة شكرية . ولما أصبحت مع أولادها سألتهم .

- إيه رأيكم يا أولاد .

قالت محفوظة :

- المهم رأي سلمي لأنها صاحبة الشأن .

قالت سلمي :

- اللي تشوفه ماما أنا موافقة عليه .

كان هذا يعني موافقة سلمي . قالت الأم :

- الظاهر أنه شاب كويس وإذا ماكنش عندك مانع فأنا موافقة عليه.

- اللي تشوفيه يا ماما .

قامت محفوظة وعانقت أختها سلمي قائلة :

- ألف مبروك يا حبيبتي ألف مبروك وربنا يتمم بخير .
- عقبالك يا رب عن قريب إن شاء الله عشان تتم فرحتي .

بعد عدة أيام حضرت السيدة شكرية لتعرف رأيهم في العريس، فأخبرتها سميحة بأنها موافقة . قالت شكرية :

- مادام أنتم موافقين يبقي علي خيرة الله وإن شاء الله سمير وأمه وأخوه الكبير الأستاذ شوقي يشرفوكوا ليلة الجمعة اللي جاية بعد العشاء عشان تتفقوا على كل حاجة، وتقروا الفاتحة مبدئياً .

أخبرت شكرية صديقتها ماجدة بموافقة سميحة، وحددت لها ميعاد الزيارة للاتفاق على تفاصيل الزواج .

وفي الميعاد المتفق عليه حضر سمير وأمه وأخوه الأستاذ شوقي وطبعاً تكلم شوقي بصفته الأخ الأكبر قائلاً :

- أخويا جاهز، وإحنا مستعدين لأي طلبات أو أوامر .

قالت سميحة :

- لا طلبات ولا أوامر، إحنا بنشتري راجل، ومش عايزين أكثر من العرف السائد .

قالت أم سمير :

- يا مدام سميحة إن شاء الله إحنا متفقين وموافقين علي أي حاجة تطلبوها .

قالت سميحة :

- شوفوا أنتم حتشيلوا إيه وإحنا نشيل إيه .

قال شوقي :

- النظام اللي يريحكم إحنا موافقين عليه، ومفيش بينا إن شاء الله أي اختلاف .

قالت سميحة :

- شرط واحد بس أنا اللي عايزاه . العروسة في السنة النهائية يعني تخلي الدخلة إن شاء الله بعد ما تخلص .

رد العريس قائلاً :

- ده شيء مفروغ منه .

قالت سميحة :

- يبقي علي خيرة الله .

قال شوقي :

- إن شاء الله بكره نجيب أخواتي البنات وجوازهم ونيجي نقرأ الفاتحة معاكم، حاجة كده عائلية، وبعدين العريس والعروسة يتفقوا مع بعض ويروحوا يشتروا الشبكة .
- تشرفوا وتنوروا .

انصرف الضيوف، وبقيت سميحة مع أولادها، وقبلت ابنتها سلمي كما قبلتها أختها محفوظة وأخوها أحمد، مهنئين .

كان لزاماً علي سميحة أن تخبر عم الأولاد بذلك، وتطلب منه الحضور ليكون في استقبال القادمين، ولكنه رفض مذكراً أياها برفضها لابنه .

قالت سميحة لأولادها :

- إحنا فينا الكفاية ومش عايزين حد غير اخويا الاستاذ راغب وأختي وجوزها الاستاذ عطية .

وفي مساء يوم الاتفاق حضر سمير برفقة أمه وأخواته الثلاث وأزواجهن وأخيه شوقي وزوجته السيدة فضيلة .

ودارت علي الجميع زجاجات المياه الغازية وأطباق الجاتوه .

وقرأ الجميع الفاتحة . . . وطبعاً خطفت محفوظة أنظار الجميع بجمالها المبهر، حتى أن الجميع نسوا أنفسهم وأخذوا يطرون جمالها، بينما العروس تبتسم . . . ثم قالت ضاحكة :

- إيه . . نحن هنا .

ضحك الضيوف وقالت أحدي أخوات سمير

- أنتِ قمر وهي قمرين .

كانت محفوظة هي التي تدور علي الضيوف بأطباق الجاتوه، وأخوها أحمد يوزع زجاجات المياه الغازية، ولما انتهيا من ذلك جلسا مع الضيوف، وتصادف جلوس محفوظة بجوار الأستاذ شوقي وزوجته تناولت الحديث معهما، كان الأستاذ شوقي يتمتع بشخصية تفرض احترامها علي من يتحدث معه، وأما زوجته فكانت جميلة جداً ولكنها بالطبع ليست في جمال محفوظة . . وبدا من حديثهما معاً مدي التفاهم والحب الذي يجمعهما، والسعادة التي تشملهما ولم يبد علي زوجة شوقي أنها تغار عليه من جمال محفوظة المفرط فهي ايضا جميلة جداً بحيث أن جمالها يلفت نظر من يراها، كما أنها تعتز بنفسها، كما لم يبد أن جمالها لفت انتباه شوقي . فمعه زوجته الجميلة

ولاحظت محفوظة أن شوقي يتحدث مع زوجته وعنها بحب لا يخفيه، ودائماً يمدحها ويطري عليها، ويعلن انه يحب زوجته وإنه تزوجها عن حب .كان شوقي عندما يخاطب زوجته لا يقول لها يا فضيلة وإنما كان يقول : يا مدام، وكان واضحاً إن الحب بينهما مغلف بالاحترام الجميل .

بعد انصراف الجميع جلست الأم مع بنتيها يتجاذبن أطراف الحديث، ويبدين رأيهن في أهل العريس، وأجمع الكل على احترامهن للأستاذ شوقي وعلى جمال زوجته السيدة فضيلة حتى قلن إنهن لم يرين زوجاً يحب زوجته بهذا القدر، ويعلن ذلك جهراً ولا يخفيه .

وعندما كانت كل منهن في سريرها، كانت الأم تبكي فرحاً بخطبة سلمي وحزناً لعدم خطبة محفوظة، أما سلمي فكانت سعيدة بخطبتها غير أنها كانت تشعر بشيء من المرارة لعدم خطبة أختها ومراعاة لشعورها.... بينما محفوظة أبدت أمام أختها السعادة والفرح، ولما خلدت إلي النوم سالت دمعة على خديها. لاح بخيالها طيف شوقي وزوجته فضيلة، وأعجبت بمدي التفاهم والحب الذي يربط بينهما، وتمنت لو تتزوج رجلاً مثله .

بدأت العائلتان تتزاوران، وسارت أمور الزواج سيرها الطبيعي . وذات مرة عندما كان سمير برفقة سلمي في الخارج في إحدى النزهات سألها :

- هي محفوظة ليه ما إتجوزتش لغاية دلوقتي ؟

ردت سلمى وهي تكذب عليه :

- بيجيلها كتير وهي اللي بترفض .

كانت تحاول أن تجمل صورة أختها . . . خير لها أن تقول عن أختها إنها ترفض الخاطبين من أن تقول إنه لم يتقدم إليها أحد .

في ليلة الزفاف كانت سلمي تجلس باشة سعيدة بجوار سمير في الكوشة، وكانت محفوظة تغدو وتروح بين الضيوف والأنظار تتبعها أينما سارت .

قالت عجوز من عواجيز الفرح :

- ياختي هو العريس ساب الكبيرة ليه وخطب الصغيرة ؟ مع إنها جميلة قوي ؟

ردت عليها الأخرى :

- مش يمكن الله اعلم بيها فيها حاجة .
- يا شيخه لو فيها حاجة ما كنش العريس خد أختها .

- أمال ها يكون إيه ؟
- تلاقيها لايفة علي واحد مش جاهز .
- أيوه كده يا ختي معقول .

وكانت سميحة ترحب بالضيوف رائحة غادية بينهم، وعيناها تنتقلان بين سلمي ومحفوظة . . . . عندما كانت تنظر لسلمي تشعر بالسعادة، وإذا انتقل بصرها إلي محفوظة شعرت بشيء من الحزن ولكنها لا تبديه .

تمت مراسم الزواج، وانتقلت سلمي إلي منزل زوجها . . . وأصبح سريرها المجاور لسرير أختها خالياً . . .

ورغم محاولة الأم تسليتها، أصبحت تشعر كثيراً بالوحدة التي تعصف بها، وتقضي معظم الليل ساهرة تتقلب في فراشها وتتساءل في دهشة : لماذا لا يقبل الخاطبون عليها رغم هذا الجمال الفائق الذي تتمتع به . . . وهذا الجسد الذي يسيل له لعاب الرجال، أيمكن أن يكون هذا الجسد هو الذي يجعل الرجال يحجمون عن التقدم لها ؟ لماذا ؟ إنها في حيرة من أمرها .

كانت تريد أن يأتيها الخاطبون وترفض هي، كما كانت تفعل أختها، إنما لا يأتيها أحد فهذا هو الشيء الذي يدعو للأسى والعجب.

وفي الصباح تلبس قناع الجد وتبدو كأنها لا تعاني شيئاً رغم ما بها من ثورة داخلية . كانت قادرة علي إخفاء معاناتها عن الجميع خاصة أمها التي كانت تعلم تماماً أنها تعاني من أمرها كما أن محفوظة كانت تعتز بشخصيتها ولا ترغب أن يراها أحد في مظهر ضعف . خصوصاً وأنها تعرف نفسها أنها جميلة، ومحط أنظار الكل، ولا تحب أن يراها أحد في مظهر ضعف أو حزن مع هذا الجمال ..... كان كبرياؤها يمنعها أن تبدو ضعيفة مع هذا الجمال .

الفصل الخامس

ذات يوم كانت عائدة من عملها عندما قابلها الأستاذ شوقي، وتبادلا السلام . . . وكان الجو حاراً ودعاها إلي تناول شيء مثلج . . ولا تدري لماذا وافقت رغم أنها لم تفعل ذلك مع أي شاب أخر لقد كانت تعتقد أن شوقي ليس شاباً لاهياً وأنه متزوج ويحب زوجته، ولا تسمح له شخصيته بالابتذال .. تحدثت معه بارتياح، وبادلها الحديث بود لا تملق فيه قالت محفوظة :

- على فكرة مراتك حلوة قوى .

رد شوقي باسماً :

- أشكرك .
- بس دي الحقيقة مش مجاملة .
- الحمد للّه، وهي كمان مع جمالها ست ممتازة وعظيمة في كل شيء .
- الظاهر إنك بتحبها .
- أنا بحبها جداً، وإتجوزنا عن حب، والحمد للّه إحنا متفاهمين تماماً وربنا أكرمنا بولدين .

- ربنا يديم عليك السعادة يا أستاذ شوقي لأنك إنسان وفي ومخلص ومن الصعب الواحد يلاقي حد في الأيام دي بالإخلاص ده .
- وإيه اللي عرفك ؟
- كلامك عن مراتك .
- أنا ما بقلش عنها غير الحقيقة .
- وما هو عشان كده أنا بقول لك إنك إنسان مخلص لأن لو واحد غيرك ما يقولش كده
- يعني إيه ؟ حيقول إيه ؟
- يعني ما فيش واحد يمدح ست قدام ست .

ضحك شوقي وابتسمت محفوظة . . وانصرفا .

وعندما عاد شوقي إلي منزله حكي لزوجته ما دار بينه وبين محفوظة، فلم يعتد شوقي أن يخفي عن زوجته شيئاً غير أنه زاد عم دار من حديث أن قال لزوجته :

- على فكرة البنت دي فيها شيء غامض .
- يعني إيه ؟
- زي ما يكون حزن مكبوت في داخلها وبتداري عليه .
- و إيه اللي عرفك ؟.

- ما أعرفش إنما مجرد إحساس .
- يمكن عشان أختها الصغيرة أتجوزت قبل منها .
- جايز .
- وجايز كمان في حياتها حد ومش متفقين .
- الله أعلم .

مرت عدة أيام تقابل شوقي مع محفوظة مرة أخرى، دعاها إلى تناول شيء مثلج، إلا أنها فجأة قالت له :

- لا أنا جعانة وعايزة أكل الأول .
- تحت أمرك .

قالت له :

- نفسي آكل طعمية وفول .

دهش شوقي وقال :

- طعمية وفول ؟
- ايوه طعمية وفول، نفسي رايحة على سندوتش طعمية وسندوتش فول.
- بسيطة يا ستي يلا بينا، تصوري إن أنا جعان فعلاً وعايز آكل
- بتقول كده عشان تجاملني ؟
- صدقيني هي دي الحقيقة

قالت له محفوظة وهما سائران نحو المطعم .

- حاجة غريبة .
- إيه ؟
- اللي أنا قلته ده ؟
- أنتِ قلتي أيه ؟
- إزاي اقول لك عايزة آكل ؟
- وفيها إيه ؟
- أنا عمري ما طلبت حاجة من حد وازاى قلت لك ؟
- وهو أنا برده أي حد ؟
- أصلي . . . مش عارفة .
- متقوليش حاجة .

حاولت التراجع قائلة :

- بلاش .

قال شوقي :

- مش ممكن . . خلاص بقي .قلت لك أنا جعان وعايز آكل أنا كمان .

استسلمت قائلة :

- اقول لك . . يلا بينا .

جلسا في أحد مطاعم الفول والطعمية، وعندما حضر عامل المطعم قال له شوقي:

- عايزين طعمية وفول بس سندوتشات . . وهات معاهم سلطات ومعالق

نظرت إليه . . وقالت :

- تصور إن دي أول مرة أطلب من حد حاجة وأول مرة أقعد مع حد غريب.
- وهو أنا برده غريب ؟
- وعشان كده أنا وافقت أكون معاك لأني حاسة إنك مش غريب عني انت أخو جوز أختي .
- ده أكيد يا آنسة محفوظة . . ونفس الشعور ولازم تعرفي إن عمري ما أكلت بره من غير مراتي .
- يبقي شعورنا متبادل . . مش عارفة ليه يا أستاذ شوقي . . . تسمح لي أتكلم بصراحة ؟
- طبعاً . . . إحنا أخوات .
- بالضبط . . أنا بحس معاك براحة وباعتبرك أخويا اللي ممكن اطمأن معاه علي نفسي وأحس معاه بالأمان تصور ان ماليش أصحاب .

أحس بالسعادة لقولها وقال :

- شعورك في محله .

أحضر عامل المطعم سندوتشات الفول والطعمية وأطباق السلطات.

قال لها شوقي :

- على فكرة أنا بلغت سلامك للمدام .
- أنت قلت لها إن إحنا أتقابلنا ؟
- طبعاً . . وحكيت لها كل الكلام اللي قلناه .
- أنت متعود تقولها كل حاجة ؟
- إحنا ما بنخبيش عن بعض أي حاجة .
- وحتقول لها إحنا أتقابلنا مع بعض، وأكلنا فول وطعمية ؟
- طبعاً حقول لها .
- وما بتغرش عليك ؟
- لا، هاتغير من ايه هي عارفاني كويس، وعارفة أد إيه أنا بحبها.
- يا بختها بيك .
- ويا بختي بيها .
- أول مرة أشوف واحد بيحب مراته للدرجة دي .
- أكيد فيه كتير .
- نفسي أتجوز واحد يكون زيك .

- مجاملة ؟
- ده حقيقي .
- على العموم أشكرك بس لازم تعرفي أن فعلاً فيه ناس كتير جداً مخلصين لزوجاتهم ومتفاهمين .

أحست بشئ من الغيرة تجاه زوجة شوقي، ورغم أنها ليس لها الحق في الغيرة، ولكنها أكبرت في شوقي حبه لزوجته، وتمنت لو كان زوجها، او تتزوج رجلاً مثله .. بل تتمني صداقته قالت :

- طبعاً فيه .

فجأة سألها شوقي .

- أنتِ أتقدم لك حد ؟.

احتارت ماذا تقول له . وجدت نفسها تقول .

- القسمة لسه ما جتش .
- معلش سؤال يجوز ماليش حق فيه .
- لا أتفضل قول .
- يا تري فيه حد في حياتك .
- صدقني يا أستاذ شوقي مفيش حد في حياتي . ولا لي صاحبة اتكلم معاها .

- معقول ؟
- و ليه مش معقول ؟
- ليه كده ؟
- ما أحبش حد يعرف عني حاجة
- بس الواحد لازم يكون له صاحب يتكلم معاه
- لو كنت قابلت الانسانة دي كانت بقت صاحبتي اللي أثق فيها وأحس معاها بالأمان
- الظاهر إنك شكاكة
- لأ، حريصة مش شكاكة،و المثل بيقول خاف من عدوك مرة ومن صديقك ألف مرة .
- ربنا إن شاء الله حيرزقك بابن الحلال اللي يستاهلك .
- إنما بستغرب أزاي أنا أخدت عليك كده على طول .
- نفس الإحساس .
- والله العظيم أنت أول إنسان أقبل منه حاجة ساقعة وأتغدى معاه .
- وأنتِ أول واحدة أقعد معاها وأكل معاها غير مراتي .
- على العموم متشكرة على الغدوة دي .
- معقول تشكريني . . إحنا أخوات .

- ربنا يديم المعروف . . يلا بينا أحسن أنا أتأخرت .
- يلا بينا .
- قبل ما أقوم أسألك سؤال .
- إتفضلي .
- حتقول لمراتك أن إحنا أتغدينا مع بعض .
- طبعاً .
- أنت مش معقول، ومش خايف لتغير عليك ؟
- هي عرفاني كويس، كمان حتغير من إيه ؟
- لما تعرف إن إحنا اتغدينا سوا .
- و هو حصل حاجة عشان تغير ؟
- يمكن برده تغير عشان أكلنا مع بعض وخصوصاً وانهم بيقولوا عني حلوة
- وإيه يعني . . . إحنا واثقين من بعض تماماً وهي كمان حلوة.
- يا بختكم . . . مش بقول لك انتوا شيء نادر .
- يا ستي لا نادر ولا حاجة فيه زينا كتير جداً . . . يلا بينا يلا .

عندما عادت إلي منزلها، وعندما كانت في سريرها، جعلت تفكر، ما هذا الذي يحدث ؟ لماذا قبلت دعوة شوقي علي الشيء المثلج ولماذا

طلبت منه الغذاء ؟ إنها المرة الأولي في حياتها التي تأمن لإنسان، ربما لأن شوقي إنسان متزوج ويحب زوجته ولا يطمع فيها... وربما لأخلاقه السامية، وقد يكون لاحترامه لها ومعاملته لها على أنها إنسانة ذات فكر وقلب وليست جسداً جميلاً فقط وقد يكون لكل هذا جميعاً . إنه فعلاً إنسان جدير بالحب والاحترام . إنه أول إنسان تحس أمامه بالأمان وبعدم الخوف برفقته ولا تري نظرة الاشتهاء في عينيه .

شيء هام جداً جذبها لشوقي .... لقد تعامل معها بعدم ابتذال وتودد كما يفعل غيره... تعامل معها علي مستوي الند، وليس كفتاة فائقة الجمال يتودد إليها . . أنها تحتقر الرجل الضعيف... لا تريد رجلاً هي أقوي منه . وإنما تريده على الأقل يساويها في الندية.... كما أن شوقي كان صريحاً معها وسألت نفسها : ما هذا الذي يحدث؟ ولماذا ملت إلي شوقي كل هذا الميل ؟ وامصيبتاه . . هل أنا أحبه ؟ إنه متزوج وله أولاد، ويحب زوجته... هل خلت الدنيا إلا منه حتى أحبه ؟ لا أدري ما هو إحساسي الحقيقي نحوه، ولكنى أشعر أني أحتاجه وأتحرق شوقاً إلي لقياه وأغار عليه من زوجته، رغم

أنه ليس لي الحق في ذلك، بل وأجسدها عليه مع أنها جميلة وتستحقه ويستحقها .

***

لقد تزوجت صديقتها إنصاف، وأصبحت لا تقابلها، إلا قليلاً، ومن العجب أيضاً أنها لم تصارح إنصاف بخلجات قلبها، ولا بما يدور في عقلها، قد يكون لعدم رغبتها في الظهور أمامها بمظهر ضعف.... ومن العجب أيضا أنها أصبحت تأمن لشوقي أكثر من إنصاف .

مضت عدة أيام تقابلت مع شوقي بعدها، قال لها ضاحكاً

- عندك استعداد نقعد مع بعض شوية ؟

قالت ضاحكة :

- ما أنت يا سيدي عارف إن ما فيش مانع .

كانت لا تدري لماذا كانت تتلهف علي دعوته وتتمناها . جلسا في أحد الكازينوهات قالت له :

- قلت لمراتك إن إحنا اتغدينا مع بعض ؟
- أول مرة أخبي عليها .
- ليه ؟

- مش عارف مع إني مش باعمل حاجة غلط .
- تصور أنا كمان ما قلتش لماما إن أحنا أتقابلنا .
- ليه ؟
- برده مش عارفة، مع إن زي أنت ما قلت إحنا مش بنعمل حاجة غلط.
- متهيأ لي ما دام بنخبي يبقي فيه غلط .
- وليه مايكونش صح ؟
- جايز
- ما أنت عارف إن الحمد لله ما فيش بيننا حاجة غلط .
- طيب ليه بنخبي ؟
- ده السؤال الغريب .
- جايز عشان أنتي حلوة قوي وخفت علي مشاعر مراتي ؟

كانت تتمني وتنتظر منه أن يعترف بجمالها، ولهذا كانت سعيدة عندما قال عنها أنها جميلة .

قالت :

- ياه يا شوقي . . أخيراً أخذت بالك إن أنا حلوة .
- دي حاجة مش لازم أقولها . . . لأنها واقع فعلاً .

- خفت عليها من الغيرة ؟
- قلت يجوز لأنها برده إنسانة مع إني متأكد إنها لايمكن تشك في، زي ما هي متأكدة إني لا يمكن أشك فيها . ثقتنا في بعض كاملة
- جايز يا شوقي .
- مش ملاحظة أنك أول مرة تنطقي أسمي من غير أستاذ .
- مفيش داعي للتكليف بيني وبينك إذا كنا حنعتبر بعض أخوات .

لا تدري لماذا رفعت الكلفة بينها وبينه . قال لها :

- أنا سعيد انك رفعتي التكليف

أحست براحة وسعادة وشعرت أنهما أصبحا قريبين كل منهما للاخر

- إحنا فعلاً أخوات أشربي الليمون .

تناولت كأس الليمون، ورشفت منه قليلاً ثم وضعته أمامها وسرحت قال لها شوقي :

- سرحانة في إيه ؟
- مفيش .
- حاسس وإحساسي ما يكدبش أن فيه حاجة مضايقاكي
- أبداً، مجرد إرهاق .

- من أيه ؟
- من الشغل والبيت، وبعدين إمبارح ما نمتش كويس .
- هو فيه مشاكل في الشغل ؟
- أبداً عادي
- هل شغل البيت كتير عليكي ؟
- البركة في ماما
- إيه اللي خلاكي قلقانة ؟
- مفيش حاجة عادي .
- يلا بينا عشان تروحي بدري وتستريحي .
- يلا بينا .

***

بعد يومين من هذا اللقاء، تقابلت معه، كان واضحاً أن هذا اللقاء مدبر، صافحها ووجد نفسه يقول لها :

- يلا بينا

وجدت نفسها منقادة اليه كما لو كانت مسلوبة الارادة ولا تسطيع المقاومة او الاعتراض لم تقل له إلي أين، وكأنما كانت تتمني وتنتظر

هذا اللقاء، فسارت معه دون أن تتكلم، ولما جلست في الكازينو السابق قالت له :

- إحساسي بيقول لي إنك كنت مستنيني .
- بصراحة أيوه، وبصراحة مش عارف ليه من غير ما تسأليني
- أقولك كمان بصراحة ؟ من غير ما تسألني
- ياريت .
- كنت بأتمني أقابلك .
- ليه ؟
- برده بصراحة مش عارفة زيك .

رد ضاحكاً :

- يبقي بصراحة أحنا الأتنين مش عارفين ليه .
- يا سيدي بكره تعرف .

كان هذا اعترافاً صريحاً من كل منهما ببداية حبها . رفعا التكليف،رحبا باللقاء فماذا بعد هذا سوي مرحلة الحب

- المهم أنتِ عاملة إيه ؟
- في إيه ؟
- في حياتك، في كل حاجة .

- الحمد لله، آهي ماشية .
- يعني إيه آهي ماشية ؟
- عادي مفيش جديد، لا جديد تحت الشمس زي ما بيقولوا أمبارح زي النهاردة .
- أنا بأقول إن كل يوم فيه جديد تحت الشمس
- مش عارفة ايه الصح فيهم وأكيد إنت الصح
- ليه ؟
- مش عارفة ليه أنا واثقة فيك تماماً
- للدرجة دي ؟
- طبعاً وإلا ما كنتش قعدت معاك .
- اللي زيك لازم يكون كل شيء في حياته جديد .
- زي إيه ؟
- التجديد في أسلوب الحياة .
- حييجي أزاي ؟ خليها تمشي زي ما تمشي .

أحست بسعادة لسؤاله عن أحوالها . قال شوقي :

- أحساسي لا يمكن يخيب، فيه حاجة مضايقاكي ياريت أعرفها .

انفجرت محفوظة باكية . . ظل يهدئ من انفعالها حتى هدأت وسألها:

- فيه إيه يا محفوظة ؟
- مفيش .
- لازم أعرف .
- قلت لك مفيش حاجة .
- لازم تقولي لي إذا كنتي بتعتبريني أخوكي .
- نفسي أقول لك على اللي حاسة بيه عشان فعلاً أنا مستريحة لك .
- تأكدي يا محفوظة إني باتعامل معاكي بإخلاص .
- واللّه العظيم عارفة، وده اللي خلاني أقعد معاك وأتكلم معاك لأن عمري ما كان لي صاحب أتكلم معاه، ودي أول مرة أقعد مع راجل، وأول مرة أضعف قدام حد .
- بس انتِ مش ضعيفة
- طبعاً أنا مش ضعيفة، صحيح أنا بكيت ولكن ده انفعال مش ضعف
- فعلاً ده انفعال ومش ضعف.

تماسكت وقالت :

- طبعاً

- تأكدي يا محفوظة إني حكون مخلص في النصيحة .
- مافيش، بلاش النهاردة، قابلني بكره ونبقي نتكلم شوية .
- علي راحتك .
- بس رجائي أوعي تجيب سيرة لمراتك .
- طبعاً مش حقول لها .
- يلا بينا .

انصرفا ولما كانت وحيدة في سريرها، تتقلب سألت نفسها . ما هذا الذي حدث لها لماذا بكت أمام شوقي ؟ وما الذي جعلها تبكي ؟ ولماذا وجدت نفسها راغبة في البكاء .... إنها تريد الترويح عن نفسها فبكت . إنها لم تضعف في حياتها أمام أي إنسان، فكيف ضعفت أمام شوقي ؟ استطردت . . لقد أصبحت أعتبره صديقاً وفياً . . صديق ؟ لا بل هو أكثر من من صديق . . أقولها صراحة . . حبيب واحساسي دائما لا يخيب ' إنى اصبحت له حبيبة. .حقاً لم نتصارح بذلك كلاماً ولكنه أصبح فعلاً فأنا أشعر بحبه لي رغم عدم بوحه بذلك، وإلا فما معني لقاءاتنا ؟ ومامعني الصراحة التي نتحدث بها وما معني لهفة كل منا للقاء الآخر . . هل أحكي له ما أعانيه ؟ أنني لن أخجل

أن انقل له همي، فقد أصبحت أركن إليه وآمن له . . في الغد سوف أحكي له .

انه متزوج ويحب زوجته كما قال لي، فكيف يحبني ويحبها ؟ هل يمنع حبه لها حبه لي ؟ إني أشعر أنه يحبني وسوف تثبت الايام ذلك.... المهم أنني أحبه رغم كونه زوجاً وأباً ويجب أن أعترف بذلك

في الغد تقابلا كما اتفقا، وعندما جلسا ظلا صامتين برهة، كان ينتظر أن تبدأ الكلام، إلا إنها لم تتكلم . . رأي أن يشجعها على الحديث فقال لها :

- أنا تحت أمرك .

قالت له :

- عارف أنا ارتحت لك ليه ؟
- ليه ؟
- عشان دي أول مره أقابل واحد عينه مليانة وتفكيره ناضج وصريح في كلامه .
- سيبك من ده كله وأحكي لي .

- اسمع يا شوقي، انا حاتكلم معاك بصراحة، عشان عايزة حد يشاركني في التفكير وأستريح . وأوعي تفكر إن أنا انسانة ضعيفة
- ماحدش يقدر يقول إنك ضعيفة
- يعني أتكلم بصراحة ؟
- ياريت . . . أتكلمي .
- عايزة أسألك . . إيه رأيك في ؟ هل أنا وحشة ؟
- سؤال مضحك
- ليه ؟
- من الطبيعي إن السؤال ده ماينسألش عنك
- و ماينسألش عني ليه ؟
- مستحيل، أنتِ غاية في الجمال .
- طيب ليه محدش أتقدم لي لغاية دلوقتي ؟
- هو ده اللي مزعلك ؟
- دانا حتجنن . . أنا جميلة، وحاسة إن عيون الرجالة حتاكلني . . والكل يمسح لي جوخ، ورغم ده كله ولا واحد إتقدم لي . . يبقي ده معناه إيه ؟
- ده كله اللي مضايقك ؟

- طبعاً . أي بنت يسعدها أن يتقدم لها خطاب كتير، تحس إنها مرغوبة انما لو ما حدش جالها معناه ان الناس خايفة تقرب منها
- ده معناه أن اللي يستاهلك لسه مجاش، وبكره ييجي اللي يستاهلك.
- إنت بتطيب خاطري ؟
- أبداً ده حقيقي . . أنتِ إنسانة عظيمة ومش أي حد يتقدم لك . . لازم اللي يتقدم لك يكون جدير بيكي ويستاهلك .
- يعني مافيش حد في الرجالة يستاهلني ؟
- قطعاً فيه، بس لسه ما قابلكيش .
- في الرجالة دول كلهم ؟
- حكلمك بصراحة . . كل اللي قابلتيهم بصولك علي أنك ست سرير مش ست بيت .
- يعني إيه ؟
- أنتِ ذكية، ولماحة، ومفروض إنك تكوني فهمتي كلامي .
- فهمت .
- أنا عارف إنك فاهمة . . كلهم بصوا لجمالك محدش بص لك كإنسانة لها قلب وفكر . . إنسانة عادية جداً زي أي واحدة، الفرق الوحيد إنها جميلة جداً .

هدأت محفوظة، وقالت لشوقي :

- أنا كده أستريحت مش عارفة ليه أنا ضعفت قدامك وحكيت لك شعوري .
- ده مش ضعف دي فضفضة .
- و لكن برده ليه ؟
- عشان إحنا أصدقاء وأخوات، ومخلصين في صداقتنا .
- بس أنا لي رجاء ؟
- إيه هو ده ؟
- أرجوك أوعي تحكي لمراتك عن الكلام اللي أنا قلته لك .
- ليه ؟
- عشان أنا ما بحبش حد يعرف إني ضعيفة .
- بس أنتِ مش ضعيفة .
- علي الأقل قدامك .
- بس ..، قاطعته .
- أرجوك ما تخلنيش أندم إني حكيت لك شعوري .
- حاضر يا ستي . . أوعدك مش حجيب سيرة لفضيلة . معقول تندمي عشان أتكلمتي معايا ؟

قرر شوقي ألا يخبر زوجته بهذا اللقاء، ولا ما دار بينهما من حديث، فقد وجد أنه وعدها بذلك ولايجب أن يخلف وعده معها، خاصة وأنها وضعت ثقتها فيه ولايجب أن يخيب ظنها.

أما هي فلم تخبرأمها بهذا اللقاء، فقد وجدت أنه أصبح ما بينهما سراً لا يجب أن يعلمه أحد..... حتي أمها . كما شعر شوقي أن الأمور بينهما أصبحت سراً لا يجب أن يعلمه أحد أيضاً.

الفصل السادس

توطدت العلاقة بين شوقي ومحفوظة وأصبحت تحكي له كل أمور حياتها وتستشيره في كل ما تريد عمله، فقد كانت تشعر بإخلاصه لها وخوفه عليها وأنه يتعامل معها كإنسانة لها روح وفكر وعقل قبل أن تكون جسداً جميلاً، وأنه لا يطمع في جسدها كما تحس مع الآخرين . . . ولهذا كانت تقدره وتحترمه وتحبه كرجل يحترم نفسه قبل أن يحترم الآخرين، ويتعفف عن الدنايا .

تطورت العلاقة بينهما سريعاً، فقد أصبحا يدمنان كل منهما الآخر، لا يمر يوم دون أن تراه، وأصبح هو نفس الإحساس يشعر به امتزجت روحاهما . انقلبت الصداقة إلي حب حقيقي بينهما، تسلل الحب إلي قلبيهما دون أن يدريا إلي أن أصبح واقعاً .

ذات يوم وهما جالسان في إحدى الحدائق سألته فجأة :

- إنت بتحبني يا شوقي ؟
- طبعاً بأحبك .
- حب يعني حب .
- يعني إيه حب حب ؟

- الحب المعروف .
- مفيش حب معروف وحب مش معروف . . الحب هو الحب .
- أمال إحنا ليه مش بنتكلم في الحب ؟
- إحنا عايشين في الحب .
- لازم يكون فيه دليل .
- الحب الحقيقي هو اللي الواحد يشعر به من غير كلام .
- بس الكلام تعبير عن الحب
- مش في كل الأحول، أحياناً السكوت أبلغ من الكلام
- بس الواحدة تحب تسمع كلام الحب من حبيبها
- يا ستي بحبك، والله العظيم بحبك وبموت فيكي .
- أنا بستغرب اشمعني أنت من دون كل الرجالة اللي قابلتهم ما فكرتش زيهم .
- هم فكروا في إيه ؟
- كنت بحس الطمع في عينهم والرغبة المتوحشة بتنهش جسمي . . إنما أنت نظرتك لي غير كده خالص .
- هم عايزينك ست سرير مش ست بيت .
- لكن إنت نظرتك لي مختلفة .

- لأني عارف إن الإنسان مش جسد وبس، الإنسان جسد وروح وعقل ومشاعر وحاجات كثير . . حاجات ظاهرة وحاجات مش ظاهرة .
- باختصار يعني إنت بتحبني ؟
- قلت لك أيوه، وأنتِ عارفة إني صريح، لو ماكنتش بحبك كنت قلت لك .
- ومراتك ؟
- طبعاً بحبها جداً .
- جداً ؟
- أيوه جداً ايه الغريب في كده ؟
- مش خايف أغير ؟
- لا
- ليه ؟
- هي مراتي وإنت حبيبتي
- إزاى بتحبني وبتحبها ؟
- ما تنسيش أن هي مراتي وأم أولادي . . وعشرتي وراحتي وبيتي.
- يعني الإنسان ممكن يحب اثنين ؟
- يقدر يحب الدنيا كلها .

- مش عايزة دبلوماسية .
- ما تنسيش إني راجل متجوز وعندي أولاد .
- وده المانع اللي بيني وبينك ؟
- أبداً ده مش مانع، بدليل إني قاعد معاكي وبحبك .
- صدقني ده مانع .
- إزاى ؟
- يعني لو ما كنتش متجوز كان ممكن إن إحنا نتجوز .
- لو على الجواز ما إحنا برده ممكن نتجوز .
- وتبقي أنت جوز الاثنين وأنا أبقي ضرة ؟
- يا بنتي أنا لا يمكن أكون جوز الاثنين وأنتِ لا يمكن تكوني ضرة.
- طبعا طبعا أكيد . بس وضعنا الحالي نسميه ايه ؟
- فيه زوجة وفيه حبيبة ودي حاجة ودي حاجة
- يعني ينفع الكلام ده ؟
- إحنا عايشن فيه
- فعلاً عايشن فيه
- أنا بقول لك ممكن . . . لكن إحنا الاثنين تفكيرنا مش كده .
- الحب أناني .

- ما يبقاش حب .
- أمال يبقي إيه ؟
- الحب حاجة والجواز حاجة .
- بس الزواج تعبير عن الحب
- ويمكن الحب ما تنهيش بجواز ويبقي حب خالص ونقي
- ده كلام روايات
- الروايات تعبير عن الواقع
- الكلام ده نادر يحصل
- يعني بتحب مراتك وبتحبني إزاى ؟
- أنا بحب أمي، وبحب أخواتي، وبحب مراتي وأولادي، وبحبك، إيه الغريب في كده ؟
- دول حاجة وحبك لمراتك ولي حاجة ثانية .
- طبعاً .
- عايزه أفهم .
- حاضر ياستي .
- أنا ايه وهي ايه ؟
- هي الحياة وأنتِ الروح .

- يعني إيه مش فاهمة .
- هي حياتي اللي أنا عايشها، زوجة وبيت وأولاد، إنما أنتِ الروح اللي أنا عايش بيها .
- يعني أنا لو صبحت أتجوزت حتفضل برده تحبني ؟
- طبعاً . . ولآخر عمري .
- أمرك غريب . . . غريب .
- أبداً لا غريب ولا حاجة، ده منطق العقل .

قالت بانفعال :

- عقل عقل . . هو فين العقل ؟ ومنطق العقل يا أستاذ أبقي بالجمال ده كله ومحدش يتقدم لي ؟
- لازم تعرفي إن جمالك هو مشكلتك .
- إزاى ؟
- لو كنتي جميلة جمال عادي زي أختك ما كنتيش قعدتي لغاية دلوقتي من غير جواز لكن عشان جمالك غير عادي هي دي المشكلة .
- فهمني إزاي ؟
- لأن اللي حيتجوزك حيعيش تعبان .
- من إيه ؟

- من الشك
- الشك في أنا ؟
- حيحس إن كل الناس بتبصلك والعيون بتشتهيكي وعشان كده حيعيش في قلق .
- المفروض أنه يكون واثق في .
- ما تنسيش إن ده إنسان مش ملاك .
- يعني معني كلامك إني حافضل كده .
- لا طبعاً . . حييجي لك واحد من اثنين يا إما قوي جداً وواثق من نفسه تماماً إنه يقدر يقف قدام جمالك أو يكون متهور وما وبيقدرش خطورة جمالك .
- طيب وهو جمالي خطير ؟
- جداً
- بقول لك إيه . . أنا تعبت من التفكير . . يلا بينا

وانصرفا كل منهما إلي داره، وعندما كانت في حجرتها ألقت بنفسها علي السرير باكية حزينة . . وظلت تفكر . . إنني أكره هذا الجسد . . ألعنه . . إنه سبب شقائي لماذا ابتليتني به يا ربي . . أستغفر الله العظيم . . هل من المعقول أن اشقي بجمالي ؟المفروض أن

أكون سعيدة بهذا الجمال ويعبر الشباب عن إعجابهم بالتقدم لي، وأرفض وأنتقي مثل أختي .

هذا قضائي وقدري . . قدري أن يعطيني الله جسداً جميلاً وعقلاً يفكر . لو كنت بلهاء ما كنت شقيت ولا عانيت .في الماضي كنت سعيدة بهذا الجمال . . . وأحب أن أسمع كلمات الغزل والإطراء وأتهادى تيها ودلالاً، أما الآن فلم يعد لكل هذا أثر في نفسي فقد شقيت من الإطراء والمديح والتملق، والحب الزائف . .الذي لا نتيجة له يا ليتني كنت جميلة فقط ولست فائقة الجمال . . . أن الكل يعتبرني حالة جمال نادرة أليست هذه مشكلة ؟ إني الآن أعاني منها.. إن الشيء الذي يزيد عن حده ينقلب إلي ضده، وجمالي فاق الحد فإنقلب إلي الضد، لقد تزوجت أختي سريعاً لأن جمالها عادي، وتزوجت إنصاف رغم أنها ليست جميلة . . . أما أنا فماذا فعلت بجمالي الفائق وماذا فعل بي الجمال ؟ إني الآن أعاني منه... ملعون هذا الجسد، ملعون هذا الجسد الذي جعل الرجال يشتهونني ولا يقدروني كإنسانة لها أحاسيس ومشاعر ملعون هذا الجسد الذي أشقاني وأبعد عني السعادة . أريد رجلاً يحبني لذاتي، وليس كل همه جمالي، واعتقد أن شوقي هو هذا الرجل، لقد بحثت عنه طويلاً،

وأخيراً وجدته . صحيح أنـي وجدتـه في غـير وقـت المناسـب ولكـني وجدته .

في حجرة العمل وسط الزملاء كانت ترسم السعادة علي وجهها وتخفي ما يعتمل في صدرها وعقلها .

ذات يوم كانت غائبة عن العمل وانتهزت السيدة كوثر –الرئيسة– الفرصة ووجهت كلامها إلي مصطفي .

- يا مصطفي أنا عندي رأي عايزة أقولك عليه .
- إتفضلي سيادتك .
- أنت مش بتدور علي عروسة ؟
- أيوه ؟
- طيب ما تخطب محفوظة ؟
- رد مصطفي بسرعة
- لا يا مدام، إيه يخليني إجيب وجع القلب لنفسي .
- ليه يا مصطفي ؟
- مقدرش أتجوز واحدة ز ي دي، أنا عايز واحدة علي قدي .
- ودي مالها يا بني بنت متربية وحلوة .
- مشكلتها إنها حلوة قوى .

- وإيه يعني ؟
- ما اقدرش على الجمال ده كله، حعيش في قلق، وإيه يضطرني.. حضرتك مش شايفة كل الإدارات بتيجي تتفرج عليها . احنا بقينا مَعْرَضْ.

سكتت السيدة كوثر، إذ يبدو أنها اقتنعت بوجهة نظره وخوفه من الاقتران بمحفوظة وفي اليوم التالي عندما حضرت محفوظة نظرت إليها كوثر والزملاء، كما لو كانوا يشاهدونها لأول مرة، إنهم أرادوا أن يتأكدوا من وجهة نظر زميلهم مصطفي. إقتنع الجميع أنه على حق .

عندما رجعت إلي المنزل وجدت أمها باشة وسعيدة واستقبلتها قائلةبفرح :

- الليلة جاي لنا ضيف .

قالت محفوظة :

- وإيه يعني لما يجيلنا ضيف ؟
- ده عريس ؟

فوجئت محفوظة بالخبر . . قالت لأمها :

- مين هو ؟
- ده شاب إسمه سامي بيشتغل في وزارة الصحة .

- وعرفني أزاي ؟
- جارتنا عزيزة هانم قالت إنه شافك وهو جاي عندها . أصلها تبقي عمته

دخلت محفوظة حجرتها وتذكرت كلام شوقي، إن الذي يتقدم لخطبتها أحد اثنين: إما متهور لا يقدر الأمور أو واثق جداً من نفسه بحيث يستطيع أن يقاوم سلطان جمالها، وتساءلت يا تري هل المدعو سامي القادم لخطبتها من أي النوعين؟

في المساء حضر سامي برفقة أمه وجارتهم عزيزة هانم وظلت محفوظة تتفحصه محاولة إدراجه في أي النوعين فلم تستطع، فإن الشباب في مثل هذه المواقف يظهرون بمظهر يخالف حقيقتهم .

وعندما قال سامي الجملة التقليدية التي تقال في مثل هذه المواقف:

- يسعدوني ويشرفني أن أطلب إيد الآنسة محفوظة

قالت الأم :

- إحنا يا أبني ما عندناش مانع بس إدينا فرصة كام يوم .

قال سامي

- أرجو أن المدة متكنش طويلة .
- كلها يومين ثلاثة مش كتير .

بعد انصراف سامي والجارة قالت الأم لإبنتها :

- إيه رأيك يا محفوظة ؟

لم يكن أمام محفوظة خيار، فسامي أول شاب يتقدم إليها، ولم يتقدم إليها غيره حتى يمكنها أن تجري مقارنة بينهما فقالت لأمها :

- إللي تشوفيه يا ماما بس إديني فرصة كام يوم .
- الظاهر أنه مستعجل قوى .
- وإحنا كمان لازم نفكر .

في الصباح اتصلت محفوظة بشوقي تليفونياً قائلة :

- عايزاك النهاردة ضروري .
- خير فيه إيه ؟
- مفاجأة .
- مفاجأة إيه ؟
- لما نتقابل حقولك .

أصبح شوقي هو الشخص الوحيد الذي غار في أعماقها، والذي أصبحت تأمن له ولا تخجل من ابداء شعورها أمامه، وتحكي له كل أمورها ..... أصبح مستشارها الخاص .

ولما التقيا في مكانهما بإحدى الحدائق قالت له :

- تصور جالي عريس .
- مبروك . . مش قلت لك كل شيء وله أخر .

تنهدت قائلة :

- أخيراً .
- مين هو وبيشتغل إيه ؟
- اسمه سامي وبيشتغل محاسب في وزارة الصحة .
- شفتيه ؟
- كان عندنا إمبارح .
- وإيه رأيك فيه ؟
- مش عارفة . . . بس أنا افتكرت كلامك .
- كلام إيه ؟
- اللي يتقدم لي يا إما متهور يا إما قوي وواثق من نفسه .
- سامي ده مين فيهم ؟
- مش عارفة لسه .
- وحتوافقي ؟
- ما قدميش خيار، وآهي تجربة نشوف آخرها إيه .
- ربنا يوفقك .

- وأنت إيه رأيك ؟
- الرأي رأيك إنتِ . . . إنتِ شفتيه وتقدري تحكمي عليه .
- مش قادرة أحكم عليه دلوقتي، وما أقدرش أوافق إلا لما إنت توافق.
- ما أقدرش أقولك رأيي، أنا لا أعرفه ولا شفته .
- يعني أوافق ؟
- أنتِ حرة .
- لا مش حرة، لازم تقول رأيك .
- يابنتي أنا لا شفته ولا أعرفه، أحكم عليه إزاى ؟
- قول لي أوافق ولا لأ ؟
- أدرسيه كويس وإذا لقتيه كويس وافقي .
- وأدرسه أزاي إلا إذا قبلت الخطوبة ؟
- خلاص فكري كويس .
- ما هو لازم أوافق عشان أدرسه .
- خلاص وافقي وادرسيه .
- أقولك . . . أوافق وآهي خطوبة ونشوف حترسي علي إيه .
- خلاص، إتكلى علي الله وربنا يوفقك، الخطوبة هتعرفك بيه كويس وجايز يطلع كويس .

أقنعت نفسها أنها يجب أن توافق، لأنها لابد أن تتزوج مثل أي فتاة، أما حبها الشديد لشوقي فهو شيء آخر . . هو الحبيب الذي يسري حبه في دمها سواء كانت عذراء أم متزوجة .

الفصل السابع

تمت الخطوبة سريعاً وأصر سامي علي عقد القران لأنه كان يتعجل ذلك ويلح فيه .رغم أن محفوظة وأمها حاولنا تأجيل عقد القران، الاأن سامي أصر علي عقده فقد كان يريد أن يتأكد أنه سوف يمتلك هذا الجمال ويطمئن لذلك . وفي حفل القران تجمع الأهل والأحباب وزملاء العمل الذين قامت محفوظة بدعوتهم والذين انتحوا جانباً . كانت محفوظة تجلس بجوار سامي كالقمر يشع الضياء، وسامي جالس بجوارها يكاد يرقص فرحاً وهو لا يصدق نفسه بأنه سوف يمتلك هذا الجمال، أما هي فقد كان فرحها مشوباً بشيء غامض لا تدريه . . . لم تكن فرحتها خالصة . . . ربما لأن شوقي كان بين الحاضرين هو وزوجته وأولاده، كان صامتاً لا يتكلم، ينظر إليها بشعور لا يدريه ولا يفهمه وكانت تنظر إليه نظرات لا يعرف تفسيراً لها ربما كانت تعني الندم علي موقفهما هذا . . هو رجل متزوج وسعيد بزوجته وأولاده، وشاء قدرها أن تعرفه وهو هكذا، لو كانت قابلته وهو أعزب لتغير الأمر ولم يكن هناك مانع من زواجهما . . إنه الرجل الوحيد الذي استطاع أن يفهمها ويغور في أعماقها . . الرجل

الوحيد الـذي عاملـها كإنسـانة ولم يعاملـها كصـورة جميلـة يشـتهيها الرجال .

طلب شوقي من زوجته أن يغيرا مكانهما، ولما سألته عن السبب أدعي أنه يريد مكاناً أهدأ . طاوعته زوجته وانتقلا إلي مكان آخر بحيث لا يري محفوظة، كان يريد أن يتحاشي نظراتها ثم طلب من زوجته أن ينصرفا مدعياً شعوره بالإرهاق والتعب .

أما مجموعة زملاء العمل فكانوا يتفحصون محفوظة وعريسها، مال مصطفي علي جاره الأستاذ أنور قائلاً :

- أنت مش شايف إن الموضوع ده مش راكب علي بعضه ؟

أراد الأستاذ أنور أن يستوضحه فقال له :

- تقصد إيه يا مصطفي؟

تساءل مصطفي :

- أنت شا يف أنهم لايقين علي بعض ؟
- بصراحة يا أبني لا .

تدخل الأستاذ سعد في الحديث قائلاً :

- بصراحة الواد مصطفي كلامه صح بصوا لمحفوظة، ده منظر واحدة في ليلة فرحها ؟ الواحد حاسس إن فيه حاجة مش صح .

قال الأستاذ أنور :

- يا جماعة إحنا ندعي لهم إن ربنا يوفقهم ويتمم لهم علي خير .

في اليوم التالي حضر سامي، وطلب من محفوظة أن يخرجا سوياً ليقضيا بعض الوقت في الخارج معاً، تعجبت محفوظة وأمها فإن التعب والسهر في اليوم السابق مازالا يجهدانهما . قالت له محفوظة :

- أنا لسه تعبانة من إمبارح، خليك لبكره، وبعدين حنخرج نروح فين النهاردة خلينا هنا مع بعض في البيت .

وافق سامي علي مضض.لقد كان يريد أن يتأبط ذراعها، ويزهو بجمالها وهو بجوارها.حاول سامي أن يقبلها ولكنها رفضت وقالت له :

- بعد الدخلة يبقي من حقك، إنما الوقت لأ، خليك عاقل وبلاش تهور.

اما هي فقد بدأت تفيق وكأنها كانت في غفوة، وأحست أنها تسرعت في قبول سامي زوجاً لها وبدأت تنظر إليه متسائلة ! أهذا هو الرجل الذي الذي سوف أمضي معه عمري ويكون أباً لأولادي ؟ أبعد صبري الطويل أتزوج سامي ؟ إن شخصيته ضعيفة ومهزوزة سوف أترقب الأيام فقد يخيب ظني .أبدت محفوظة شعورها لأمها . قالت لها أمها :

- يا بنتي ده من فرحته بيكي، وبكره الأيام حتخليكي تغيري رأيك .
- يا ريت يا ماما يطلع كويس... لما أنا من دلوقتي بدأت أشعر بكده، أمال أعمل إيه بعدين ؟
- يا بنتي سامي طيب وغلبان وبيحبك بجنون .
- ياماما ده مالوش شخصية خالص
- عشان بيحبك
- و هو الحب يلغي الشخصية ؟
- يعمل كل حاجة .
- اما أشوف ايه آخرتها معاه

كانت تعتقد أن سامي لا يحبها بجنون كما قالت أمها، ولكن تدفعه اليها شهوة الجسد .

بعد يومين من عقد القران خرجت للعمل، وأقبل عليها زملاؤها مهنئين ورسمت هي الأبتسامه علي شفتيها والسرور علي وجهها، ولكن الأستاذ أنور قال لزملائه في خلسه منها :

- والله العظيم البنت دي مش مبسوطة وبتمثل .

***

قابلت شوقي بعد العمل، وعندما كانا في مكانهما المفضل الذي يلتقيان فيه قالت له :

- أنت قمت بدري ليه ؟
- مش عارف .
- كان شعورك إيه وأنت شايفني في الكوشة ؟
- صدقيني مش عارف، فرحان وحزين .

عندما عادت للمنزل وجدت سامي جالساً مع أمها . قال سامي :

- يا ماما لو سمحتي جهزى محفوظة بسرعة عشان أنا عايز أخش علي طول .

قالت سميحة :

- يا أبني إدينا فرصة عشان أجهزها .

قال سامي :

- أنا مش عايز أي حاجة، أنا عايزها بطولها . . . أنا شقتي جاهزة .
- أنت لسه بتقول جهزيها ؟
- أقصد إن أنا عايز أخش قوام .

نظرت إليه محفوظة باشمئزاز وقد أحست بالرغبة المتوحشة تطل من عينيه شأنه شأن غيره من الرجال قالت له :

- ومستعجل علي إيه ؟ أدينا فرصة كام شهر لغاية ما أجهز نفسي .
- وتجهزي نفسك يعني حتعملي إيه ؟ أنا مش عايز أي حاجة أنا عايزك أنتِ بطولك.

أنهت سميحة الحوار قائلة :

- إن شاء الله حنجهزها بسرعة يا سيدي ما تقلقش .

خرج سامي مع محفوظة يوماً ليقضيا بعض الوقت معاً، وتعمدت محفوظة أن تصحبه إلي مكانها المفضل مع شوقي كان واضحاً الفرق الشاسع بين سامي وشوقي، فقد كان شوقي يتمتع بقوة الشخصية بحيث أنها كانت تشعر أنها تلميذة تجلس أمام أستاذ ذي خبرة، أما سامي فقد كانت تشعر أنها أستاذته وهو تلميذها البليد، حتى كلامه معها كان تافهاً فقد كان لا يمل من قوله :

- أنا مستعجل وعايز أخش .

قالت له :

- مستعجل علي إيه كده ؟

قال:

- بصراحة :حاتجنن عليكي .

نظرت إليه باشمئزاز وزاد في نظرها سقوطاً حاول سامي أن يداعب جسدها فنهرته بشدة .

قال لها :

- أنا جوزك
- الكلام ده بعد الدخلة خليك عاقل

ولم تعطه الفرصة لذلك وازداد احتقارها له، وجعلت تقارن بينه وبين عفة شوقي

حكت لأمها ذلك فأطرقت الام ولم تجد ما تقوله أحست أن كل ما يهمه هو متعته الجسدية وليس لذاتها لا فرق بينه وبين غيره ممن تحس أنهم ينهشون جسدها بنظراتهم وزاد احتقارها له .

قصت كل هذا لشوقي الذي أطرق واجماً . قالت له :

- إيه رأيك في البلوة دي ؟
- واضح أنه رخيص أوى .
- ما أنت قلت لي إما تافه ومتهور يا إما قوي جداً . وحظي المنيل ما أقعش إلا في التافه المتهور .
- استحملي شوية .
- لما اشوف إيه أخرتها .

خرجت يوماً من عملها فوجدته في انتظارها بالخارج وسألته عما أحضره إلى مقر عملها رد عليها :

- عايز أوصلك للبيت .
- ليه ؟
- أوصلك وخلاص .
- وهو أنا مش حا أعرف أروح لوحدي ؟
- وفيها إيه لما أوصلك ؟ أنا جوزك

قالت باستياء :

- أنا مش تلميذة صغيرة حتيجي تاخدها من المدرسة .
- انتِ اتضايقتي ؟

قالت باستياء أيضاً :

- لا أبداً .

كانت لا تريده أن يكون في انتظارها بعد مواعيد العمل حتى تتمكن من مقابلة شوقي، في اليوم التالي وجدته داخلاً عليها مكتبها، فاستقبلته مبدية بشاشة زائفة أمام زملاءها، وأحست أن زملائها يتفحصونه وكأن لسان حالهم يقول من هذا الذي تجرأ واقتحم الهيكل المقدس .

مال مصطفي علي زميله الاستاذ علي قائلاً:

- عايز أسألك سؤال
- اسأل يا مصطفي
- انت شايف ان الواد ده مناسب لمحفوظة .
- بصراحة يا ابني لا
- أنا قلت من الاول ان الموضوع ده مش راكب علي بعضه.

خرجت من العمل بصحبته قالت له وهما سائران في الطريق :

- إيه اللي جابك النهاردة الشغل ؟
- كنت قريب من هنا قلت أعدي عليكي .

صمتت محفوظة ولم ترد لأنها تعلم تماماً إنه يكذب، وأحست أنه يراقبها، رجعت إلى منزلها ذات يوم فوجدته بالمنزل، وكانت في هذا اليوم برفقة شوقي تشكو له سامي وهو يواسيها ويحاول أن يسري عنها قال سامي :

- اتأخرتي ليه ؟
- كنت عند واحدة صاحبتي .
- مين هي ؟
- وإنت يعني حتعرفها ؟

- أعرف بس هي مين .

صرخت فيه محفوظة :

- إيه يا سامي . . . أنت بتراقبني ؟ في الشارع ألاقيك في الشغل ألاقيك في البيت ألاقيك إيه ؟
- أنا جوزك ومن حقي أعرف كل حاجة ؟
- هو فيه حاجة عشان تعرفها. يا أخي لما أنت مش واثق في أتقدمت وخطبتني ليه
- أنا مش شايف إني تجاوزت حدودي .
- أزاي يا أستاذ وأنا حاسة إنك ممكن تطلع لي من أي حته زي العفريت .
- ماتزعقيش وأتكلمى كويس .
- يا أخي بلا كويس بلا زفت .

وسارعت إلى دخول حجرتها، وانصرف سامي غاضباً . . . ولم تحاول الأم تهدئة الأمور، فقد كانت لا تعجبها تصرفات سامي من حيث الشك في إبنتها، وأحست أن إبنتها لن تكون سعيدة معه .

في اليوم التالي تقابلت مع شوقي وروت له ما حدث وأضافت قائلة :

- أنا حا أطلب الطلاق لأني ما بقتش قادرة أستحمل .

أطرق شوقي رأسه صامتاً بينما أضافت هي :

- فعلاً زي ما أنت قلت متهور وضعيف .
- لاحظي إنك أنتِ اللي وافقتي عليه بدون ضغط من حد .
- عارفة .
- وافتكري كويس إني قلت لك ما تتسرعيش وادرسيه كويس .
- فاكرة . . . ما أنت عارف إن ده أول زفت يتقدم لي .
- مش عذر .
- على العموم آهي تجربة .
- بس بقي جوزك، واتحسبت عليكي جوازة .
- وإيه يعني إحنا لسه ما دخلناش .

كان شوقي يريد فعلاً انفصالها عن سامي، فقد بدأ يعتقد أنه غير جدير بها، وأنها لن تكون سعيدة معه . . .و ان الشك سوف يحيل حياتها مع سامي إلي جحيم، وأن هذه الزيجة مآلها إلي الانفصال، فخير لها ان تنفصل عن سامي من الآن . إنه يحبها ويريدها أن تكون سعيدة في حياتها الزوجية مثل ما هو سعيد في حياته الزوجية قال لها شوقي :

- أنا فعلاً موافقك على رأيك .

بدأت محفوظة تعامل سامي بجفاء، ترفض الجلوس معه أو الخروج وأحس هو بتغيرها فقال لها :

- أنتِ بتعامليني كده ليه ؟
- أمال عايزني أعاملك إزاي ؟
- إذا كنا لسه ما دخلناش أمال حتعامليني إزاي بعد الدخلة ؟
- ومين قال لك إن إحنا حنخش ؟
- ليه ؟ هو أنا مش جوزك ؟
- لا .
- يعني إيه ؟
- طلقني .
- إيه . . بتقولي إيه ؟ أطلقك . . تعالي يا ماما شوفي بنتك بتقول إيه ؟

كانت محفوظة في صالة المنزل، وكانت أمها في المطبخ، وكانت تسمع حوار محفوظة مع سامي وخرجت عندما ناداها سامى قالت الأم

- معلش يا سامي اتفضل انت مش وقت الكلام .

نهض سامي وانصرف دون ان يتكلم . . لم تفاجأ الأم بطلب اينتها للطلاق فقد كانت تتوقعه بعد أن شكت إبنتها إليها كثيراً من تصرفاته الطائشة .

ذهب سامي إلي عمته عزيزة هانم وقال لها .

- شوفي يا ستي الهانم محفوظة ؟
- ما لها يا سامي ؟
- عايزه تتطلق .
- يا خبر . . . ليه ؟
- مش عايزاني أحاسبها . . . مش عايزاني أعرف بتتأخر ليه في الشغل، ومش عايزانى أعرف بتروح فين .
- يعني حتكون بتروح فين ؟ تلاقيها كانت عند واحدة صاحبتها أو بتعمل مصلحة .
- طيب ومش عايزة تقول لي ليه ؟
- يا سامي الأمور تتعالج بهدوء . هو انت عارف أصحابها ؟
- يا ستي بتتقنزح على عشان حلوة .

قالت عزيزة مداعبة :

- يا إبني من حقها، واحدة حلوة وحاسة بجمالها .

- طيب ما أنا كمان حلو ومش وحش

فضحكت عمته عزيزة وقالت :

- يا شيخ اتلهي روح شوف وشك في المراية .
- لو ما كنتش حلو ما كانتش قبلت تتجوزني
- صدقني أنا مش عارفة ازاي قبلتك
- ليه أنا مش راجل وسيد الرجال ؟
- راجل آه إنما سيد الرجال لأ
- لأ يا ستي أنا جوزها ومفروض أعرف كل شيء عنها .
- هي لسه في بيت أبوها مجتش عندك .
- لما هي في بيت أبوها وبتعمل كده، أمال لما تيجي عندي حتعمل إيه؟
- باين عليكم مش متفاهمين يا سامي، وقلت لك ما تتسرعش وتكتب الكتاب أنت اللي كنت متسرع زي عوايدك .
- وإيه يعني ؟
- وإيه يعني ؟ ما أنت شايف المشاكل اللي بينكم .
- ورأيك إيه ؟
- رأيي حاجة من أتنين، يا تقبلها على كده، يا إما تفترقوا من دلوقتي.

- مش حاطلقها، وحاسبها كده زي البيت الوقف، وغصب عنها حاخدها.
- ما ينفعش يا أبني، إذا كنت بتحبها فعلاً وعايزها أقبلها على كده، يا إما تسيبها وتشوف غيرها، وهي ربنا يسهل لها .
- لأ لازم أعلمها الأدب .
- ما ينفعش يا غبي، كل ده مالوش لازمة،ماتبقاش أرعن زى أبوك الله يرحمه ومادام قالت لك مش عايزاك يبقي خلاص، خلي عندك كرامة.

أحس سامي أنها تحتقره وتستصغر شأنه وأنه لا فائدة من عناده، وأنها أصبحت بعيدة المنال ولا يمكن أن تعود اليه وفقد الأمل قال

- يعني ده رأيك ؟
- أيوه، ده الصح والأصول .
- خلاص تغور في ستين داهية أنا معنديش ثقة فيها، بلاش وجع قلب،دي هتجنني من الشك فيها، بس ترجع لي كل اللي أخدته .
- طالما هي اللي طالبة الطلاق يبقي من حقك تأخذ حاجتك .

كان سامي يشتهيها ولايحبها لذاتها، ولذا كان قراره الانفصال عنها سهلاً عليه، أضف الي ذلك أن شخصية سامي كانت مهزوزة،

ولا تقدر الأمور حق تقديرها، واستطاعت عمته عزيزة هانم أن تقنعه في سهولة ويسر، لأنها كانت ذات نظرة صائبة، وعرفت أن هذه الزيجة مآلها إلي الفشل .

ذهبت عزيزة هانم إلي السيدة سميحة ومحفوظة، وحاولت تهدئة الأمور، لعل وعسى، إلا أن محفوظة أصرت على موقفها من الطلاق فقالت لها عزيزة :

- يبقي في الحالة دي تديه حاجاته كلها .
- يغور بيها مش عايزة حاجة من ريحته .

وأخيراً تم الطلاق،و العجيب أن الطلاق تم في سهولة ويسر عكس ما كانت تتوقع من معاندة من سامي وهذا ما أراح بالها

لم تكن الأم حزينة . قالت لمحفوظة :

- إن شاء الله ربنا حيرزقك أحسن منه . . وعلى العموم العقدة خلاص إنفكت .

جلست محفوظة مع شوقي، فقالت له :

- أنا حاسة إن عبء ثقيل إنزاح من علي قلبي .
- بس إتحسبت عليكي جوازة .
- اتحسبت اتحسبت، المهم إن أنا خلصت منه .

- ما تبقيش تتسرعي بعد كده .
- ما تنساش إن دي أول تجربة لي، أتعلمت منها كثير .
- ربنا يوفقك .
- على فكرة أنا الآن نفسي مستريحة وهادية .
- إن شاء الله خير بعد كده .
- بقولك إيه، أنا جعانة جداً وعايزة أكل .
- حاضر يا ستي، يلا بينا على المطعم .

جلسا كل منهما في مواجهة الأخر، نظرت إليه قائلة :

- أنا حاسة بالسعادة والراحة . . .الحسنة الوحيدة في سامي إنه طلقني بسهولة وما كنتش متوقعة منه كده
- اللي زي سامي ماعندوش تركيز في قراراته والظاهر إنه كان في حالته الهبلة .
- الراجل أتأخر ليه بالأكل ؟
- خللي عندك صبر .

جاء الطعام، أكلت وشربت بنهم، لدرجة أن شوقي قال لها ضاحكاً :

- إيه الحكاية، إنتِ بقالك ثلاث أيام ما أكلتيش ؟

- كان ساددد نفسي الله يسد نفسه .

في مقر عملها عرف الزملاء نبأ طلاقها من سامي . . . علق الأستاذ أنور قائلاً لزميله الأستاذ سعد :

- كان شيء متوقع .

قال مصطفي :

- كنتم عايزني أخطبها ؟ أهي الخطوبة ماكملتش . . . أنا قلت لكم من الأول الوضع ده مش راكب على بعضه .

قال الاستاذ سعد :

- الواد سامي ده حمار وستين حمار حد يوصل للجمال ده ويسيبه

قال أنور :

- أصله حمار وستين حمار

تهامست الزميلتان :

- ياختي مين يقدر عليها ؟ ما يقدرش عليها إلا الشديد القوي .

ثم نظرت أحداهما إليها قائلة :

- ولا تزعلي نفسك يا حبيبتي بكرة يجيلك أحسن منه .

قالت محفوظة :

- هو أنتم شايفني زعلانة ؟ ده شيء عادي أتنين مخطوبين وما اتفقوش أحسن لهم يسبوا بعض الوقتي أحسن ما يفترقوا بعد الجواز ؟

قالت الرئيسة كوثر :

- عندك حق يابنتي . . على الأقل الوقتي مفيش ارتباط بأولاد .

مرت بعد ذلك عدة أشهر، والأمور تسير كما هي . . تتقابل مع شوقي ويتحاكيان . . وتمضي بينهما علاقة حب شريفة، الجنس ليس طرفاً فيها . . فشوقي متزوج وسعيد في حياته الزوجية وهي تعلم ذلك وسعيدة وقانعة بحبه لها، ولا ترغب في أكثر من هذا .

هي تعلم تماماً أن شوقي لا يمكن أن يفكر في خيانة زوجته رغم حبه لها وهي تأبي على نفسها الخطيئة ولا تفكر فيها . . . إنها لا تطمع في أكثر أن يكون بجوارها يهديها ويرشدها، وتلجأ إليه وقت الحاجة . وإنها تشعر بالأمان في معيته . . . وقت شدتها وضيقها تجده بجانبها يشد أزرها ويخلص لها النصيحة . .وهو يجد فيها حبيبة يحبها وأنيسة ورفيقة .

حتى الزواج منه لا تفكر فيه، كما أنه لا يفكر في الزواج منها . . هو لا يستطيع إغضاب زوجته وأم أولاده وعشرته . . . كما أنه يريدها

إلهة مقدسة للجمال . وهي تريده مثالاً راقياً لكل المعاني الجميلة بعيداً عن الشهوات .

في جلسة معاً قالت له مداعبة :

- إحنا ليه ما نتجوزش ؟
- يبقي وضع غير طبيعي .
- ليه . . . عندك مانع .
- طبعاً . . أنا متجوز وعندي أولاد .
- طيب ما أنا بحبك وعارفة أنك متجوز وعندك أولاد، وأعتقد أن ده مش مانع .
- لا مانع .
- بتحب مراتك ؟
- أيوه، وإنتِ عارفة كده، وما خبتش عنك .

أحست بالغيرة وقالت :

- وبتحبني ؟
- أيوه .
- إنت حتجنني، أزاي بتحبها وبتحبني .
- سبق وقلت لك إنت الروح وهي الحياة .

- اشرحها لي تاني .
- إنتِ روحي اللي عايش بيها، وهي الحياة اللي عايشها، زوجة وبيت وأولاد .
- على فكرة . . . أنا عارفة الكلام ده وعارفة رأيك كويس .
- أمال بتسألي ليه ؟
- بـتأكد بنفسي .نفسي أسألك سؤال .
- إيه هو ؟
- لما أنت بتحب مراتك بتحبني ليه ؟ إيه الفرق بيني وبينها ؟
- هي الزوجة وإنتِ الحبيبة .
- يعني الكلام ده ينفع ؟
- طيب ما إحنا عايشين فيه .
- أكيد فيها حاجة مش موجودة في وأنا في حاجة مش موجودة فيها .
- يعني معني كلامك عايزانى أعمل مقارنة بينك وبينها ؟
- تمام، نفسي أعرف .
- مقدرش أعمل مقارنة، المهم إني بحبك وبموت فيكي ومفيش سبب للحب .تعرفي إنتِ سبب للحب ؟

- صحيح . . أنا بحبك وبموت فيك ليه ؟ ما أعرفش مع أنك راجل متجوز وعندك أولاد .
- عرفتي الأن أن الحب لا يعلل ؟
- أكيد إنت بتحبني ومش عارف ليه، وأنا بحبك ومش عارفه ليه . . يعني الحب حاجة فوق مستوي الفهم والإدراك .
- كمان حبنا منزه عن الأغراض .
- عشان كده هو حب حقيقي . . . أسمي آيات الحب .
- يلا بينا عشان أنا إتأخرت .

نهضا وإنصرفا .

الفصل الثامن

جلس الأستاذ فاروق مدير عام الشئون الإدارية عند صديقه الأستاذ عبد الرءوف مدير عام الشئون المالية .

قال فاروق :

- فيه عندك موظفة الكل بيتكلم عن جمالها .
- ياه للدرجة دي .
- بيقولوا حلوة قوى .
- في أي قسم .
- قسم الشطب .
- أسمها إيه .
- بيقولوا أسمها محفوظة .
- يا خويا جميلة لدرجة أن الأقسام الثانية بتتكلم عنها ؟
- أنا سمعت صيتها من كلام الموظفين عليها .
- ودي بقي بنت ملعب ولا جد ؟
- بيقولوا جد جداً ودوغري وشخصيتها قوية .
- إنت شوقتني أشوفها لكن أنت شفتها .؟
- أبداً .

- ما تيجي نشوفها ؟
- إزاي؟
- أبعت أجيبها ؟
- وليه، ما نقوم إحنا نمر على الموظفين ونشوفها .
- يلا بينا .

نهض الاثنان بدعوي تفقد الموظفين . . وجعلا يمران على الأقسام المختلفة حتى وصلا إلى قسم الشطب، عندما دخلا، وقفت مدام كوثر – رئيسة القسم – وكذا بقية الموظفين . . . سلما عليها ثم جعلا يطوفان ببقية الموظفين ليصافحاهم حتى وصلا إلى محفوظة . . . نظر إليها الأستاذ عبد الرءوف بانبهار قائلاً :

- إنتِ جديدة عندنا ؟
- بقالي فترة مش كبيرة يا فندم .
- أنا عارف كل الموظفين ما عدا إنتِ .
- من سوء حظي يا فندم . لما جيت أستلم الشغل كنت حضرتك في إجازة .
- إسمك إيه ؟
- محفوظة حافظ .

- باين عليكي ذوق قوي .
- شكراً يا فندم .

صافحها بعد ذلك الأستاذ عبد فاروق وحتى لا يلفتا الأنظار استمرا في سيرهما، إلي أن عادا إلى مكتب عبد الرءوف .

قال فاروق :

- شفت يا عبد الرءوف الجمال ده ؟
- جمال إيه يا راجل ؟ مش ممكن يكون فيه جمال ورقة وذوق بالطريقة دي . . لا تقول ممثلات ولا غيره .
- على فكرة البنت دي لو شافها مخرج سيما مش حيسبها .
- الموظفين لهم حق يتكلموا عليها .

***

بعد عدة أيام إتصل الأستاذ عبد الرءوف بمدام كوثر قائلاً :

- ابعتي لي الموظفة اللي عندك اللي إسمها محفوظة .
- حاضر يا فندم، هي عملت حاجة ؟
- مفيش حاجة أنا عايزها .
- حاضر يا فندم .

نادت مدام كوثر محفوظة قالت لها :

- المدير العام عايزك .
- خير يا مدام فيه إيه ؟
- مش عارفة، روحي شوفيه عايز إيه .
- حاضر .

ذهبت محفوظة وهي تخمن فيما يريده منها المدير العام وجعل الموظفين يخمنون أيضاً، عندما وصلت محفوظة إلى مكتب المدير العام أدخلها السكرتير فوراً، ألقت السلام على المدير العام قائلة :

- صباح الخير يا فندم .
- صباح النور أقعدي يا محفوظة .
- شكرا يا فندم .

جلست محفوظة أمام عبد الرءوف قال لها :

- أنا عايزك هنا في السكرتارية بتاعتي .

فوجئت محفوظة برغبة المدير العام وأدركت بذكائها أنه يريدها بجواره مستمداً جرأته في ذلك من رئاسته لها .

قالت :

- يا فندم أنا مستريحة مع مدام كوثر والزملاء اللي معايا .
- ما أنتِ هنا برده حتكوني مستريحة .

- أشكرك يا فندم . . كنت أحب أتشرف بسعادتك بس أنا أخذت على مدام كوثر ومستريحة معاها .

أدرك عبد الرءوف أنها ترفض، لكنه لم يفقد الأمل، وأراد أن يجعل الباب مواربا قال لها :

- على العموم فكري، وإذا وافقتي تعالى على طول .

أرادت أن تنهي الحوار فقالت :

- حاضر يا فندم بعد إذنك .

و خرجت . . . . وعندما عادت إلى مكتبها سألتها مدام كوثر :

- كان عايزك ليه المدير العام .
- عايزني في السكرتارية بتاعته .
- يعني حتسبينا ؟
- أنا ما وافقتش .

نظر الزملاء بعضهم إلي بعض . . . النساء غيرة وحسداً، والرجال إعجاباً وتقديراً فكرت محفوظة لماذا يريدها المدير العام في سكرتاريته؟ هل من باب الوجاهة ؟ أم يريد أن يسمح له قربه منها في ايجاد علاقة ما معها ؟ لقد أخطأ المدير العام التقدير، فهي ترفض الحالتين، فلها

شخصيتها المستقلة ولا تسمح لنفسها أن تكون دمية جميلة تصلح للتباهي والمشاهدة، كما لا تسمح أيضا فيما يفكر فيه المدير العام

بعد عدة أيام طلبها المدير العام ثانية . وذهبت إليه قال لها :

- فكرتي يا محفوظة ؟
- أشكرك يا فندم وأرجوا إنك تعفيني من الشرف ده .
- يعني فكرتي كويس ؟
- أيوه يا فندم .
- طيب أتفضلي .

خرجت محفوظة . . . لم تخف من سلطته وسطوته . وعندما عادت لزملائها حكت لهم ما حدث، فإزداد إعجابهم بها .

جلس عبد الرءوف مع فاروق، وقص عليه رفض محفوظة العمل بسكرتاريته في المرتين اللتين استدعاها فيهما .ثم استطرد قائلاً :

- أنا كنت فاكر إنها حتكون مبسوطة عشان حتشتغل في السكرتارية بتاعتي، وما كنش يخطر علي بالي إنها ترفض

قال فاروق :

- البنت دي باين عليها كويسة جداً . إوعي تحاول تعمل فيها حاجة ؟
- حاجة زي إيه ؟

- مثلاً تنقلها غصب عنها، تضايقها، تشد عليها .
- إيه اللي هايحصل ؟
- البنت حاتتكلم وتقول كان عايزني عنده في السكرتارية وانا رفضت وتبقي سمعتك زفت . خصوصاً انها حلوة قوي والناس حتصدق كلامها.

أطرق عبد الرؤوف قائلاً :

- عندك حق .

عندما حكت لشوقي ما حدث في المقابلتين قال لها :

- برافو عليكي . . وماخفتيش منه ؟
- لأ .
- ليه ؟
- ما يقدرش يعمل حاجة .
- ده المدير العام ؟
- وإيه يعني .
- يمكن يضايقك .
- ما يقدرش .
- ليه ؟

- لو عمل كده حتكلم وأفضحه، وهو مش غبي عشان يعمل كده .
- مش بقول لك زي ما إنتِ جسمك رائع عقلك برده رائع .
- ما تخافش علي أنا جامدة قوي .
- عارف

ضحكت وقالت :

- بس مش معاك . . . أنا برده تربيتك .

سري خبر رفضها العمل في سكرتارية المدير العام بين الموظفين، مما علا قدرها في أعينهم، وزاد من مكانتها سمواً، وزاد توقيرهم لها..... كما جعل من يفكر في محاولة مغازلتها يحجم خوفاً منها، فقد رفضت مغازلة المدير العام، فكيف يتسنى لآخر أن يغازلها ؟

عندما قصت على أمها ما حدث بينها وبين المدير العام قالت لها أمها :

- إنتِ بنتي وتربيتي، ومش خايفة عليكي، بس خلي بالك .
- ما تخافيش علي يا ماما، لا هو ولا ألف زيه يخوفوني .
- يابنتي أصل جمالك يخوف .
- قلت ما تخافيش .
- ربنا معاكي يوفقك يابنتي .

الفصل التاسع

في يوم عمل، حضر في مقر العمل أحد أقرباء السيدة كوثر – رئيسة العمل – قدمته للموظفين على أنه أبن أختها المهندس حمدي، ولاحظت محفوظة أن الشاب الضيف يسترق النظر إلها كثيراً، وأحست أن الرئيسة تتكلم معه بشأنها فتظاهرت بعدم الاهتمام . . . وبعد فترة من حديث الرئيسة مع ضيفها نادت عليها وطلبت منها الجلوس، كان جلوسها في مواجهة الضيف

قالت مدام كوثر :

- أسمعي يا آنسة محفوظة، إنتِ عارفة إني ست دوغري، وما أحبش اللف والدوران . . . الباشمهندس حمدي – وأشارت إلي الضيف – يبقي إبن أختي وبيشتغل في شركة بترول، وكلمته عنك كتير وعرف عنك كل حاجة وعايز يطلب أيدك . . ادي ماما خبر وإن شاء الله حكون عندكم أنا وهو وأختي بكرة بالليل، تقعدوا معاه، وتتعرفوا عليه يمكن يكون فيه نصيب .

ردت محفوظة :

- حاضر ياست الريسة، تشرفي حضرتك في أي وقت يعجبك .

قبل أن تعود إلي منزلها اتصلت بشوقي وطلبت منه أن يقابلها قبل العودة إلي المنزل . وتقابلا في مكانهما المعهود . وقصت عليه ما حدث قال لها شوقي :

- إنتِ شفتيه طبعاً إيه رأيك فيه ؟
- الظاهر إنه شاب كويس بس أنا ما اتكلمتش معاه. وعلى العموم لما ييجي بكره عندنا وأقعد معاه وأكلمه، أقدر أحكم عليه .

قال شوقي :

- ربنا يوفقك، بس المرة دي خلي بالك .

في المنزل بعد العودة، حكت لأمها ما حدث قالت الأم :

- يارب يا بنتي يكون كويس ويبقي من نصيبك .

في مساء الغد، حضرت السيدة كوثر ومعها اختها وإبنها حمدي . قابلتهم سميحة مرحبة، وبعد أن جلس الجميع دخلت عليهم محفوظة فإذا بأم حمدي تبهر بجمالها ووجدت نفسها تقول :

- بسم اللّه ما شاء اللّه ولا حول ولا قوة إلا باللّه .

ثم أردفت ضاحكة :

- لا، دا أحنا مش حنسيبك . . . دا إنتِ زي ما تكون بنتي .

ابتسمت سميحة وابتسمت محفوظة أيضاً . أما حمدي كان واضحاً عليه الإعجاب وإن بدا متماسكاً .

تحدث الجميع في ود، وانفرد حمدي بالحديث مع محفوظة، قال لها إنه مهندس في شركة بترول، وإن والده بالمعاش، ويعيش حالياً مع والديه وأخته الوحيدة " أمال " وهي طبيبة ومخطوبة لطبيب زميل لها، وإنه حالياً يقوم بتجهيز شقة لتكون سكناً له بعد الزواج، وأنهي حديثه قائلاً :

- الحمد لله أموري كلها على ما يرام، من حقكم تعرفوا كل شيء بوضوح وصراحة، وفي النهاية القرار قراركم .

وجدت راحة في حديث حمدي، ولم تنفر منه، كما كان حديث يتسم بالجدية والوقار، وأحست أنه لا يفتعل هذا وأنما هو هكذا طبعه

قالت أمه ضاحكة :

- مش حنسيبها يعني مش حنسيبها . . . حد يسيب ضناه .

قال حمدي :

- يا ماما من حقهم يتأكدو من كل شيء لأن دي عشرة عمر .

ثم وجه كلامه إلي محفوظة :

- إذا وافقتي حاكون سعيد جداً وإذا لا قدر الله لوما وافقتيش يبقي كل شيء قسمة ونصيب .

قالت محفوظة :

- طبعاً كل شيء قسمة ونصيب، بس إديني فرصة كام يوم أفكر .

قال حمدي :

- طبعاً ده حقك، وأنا مش باطلب الرد فوراً . . . . براحتك تماماً وأرجو إذا وافقتي يكون عن اقتناع تام وتبلغي خالتي، وإذا لا قدر الله وماوافقتيش برده بلغي خالتي .

كان واضحاً من كلامه إنه صريح وعقلاني، وأحست إنها لا تعلوه وإنها علي الأقل تساويه، هي بجمالها وهو بشخصيته . . . . . وكان واضحاً إن هناك فرقاً كبيراً بينه وبين سامي، وإنه لا يتعجل الأمور كما فعل الأخر، وإنه يتصرف بحكمه، وليس بتهور، وإن عقله يسبق عاطفته، أحست أيضاً إنه يتوقع رفضها، وفي حالة رفضها فإن الأمر بالنسبة له لايعدو أن يكون خسارة فادحة لشيء ثمين، ولكنه ليس نهاية المطاف مما جعلها تشعر أيضاً إن له قيماً يعتز بها .

بعد انصراف الضيوف، جلست محفوظة وأختها وزوج أختها وأخوها وأمها يتشاورون.... أجمعوا جميعا على أنه شاب مهذب

ومناسب لمحفوظة. وكانت الموافقة هي رأيهم جميعاً .... إلا محفوظة التي قالت :

- قبل كل شيء عايزين نتأكد من الكلام اللي قاله .

قالت أمها :

- يابنتي الناس باين عليهم كويسين، والكويس بيبان والوحش بيبان .و ده من طرف مدام كوثر وابن اختها .
- برده أدوني فرصة يومين تلاتة، وكفاية التجربة اللي فاتت .
- براحتك يا بنتي .

في اليوم التالي تقابلت محفوظة مع شوقي، وقصت عليه ما حدث، ورأيها في حمدي، وأن الجميع أجمعوا على الموافقة عليه . وهنا سألها شوقي :

- وإنتِ رأيك أيه ؟
- إيه رأيك إنت بعد كل اللي قلتهولك ؟
- إنتِ اللي شفتيه وإتكلمتي معاه، وتقدري تكوني فكرة عنه .
- فيه فرق بينه وبين سامي .
- يبقي علي خيرة اللّه .
- قبل ما أوافق عايزاك تشوفه .

- وحاشوفه فين وإزاي ؟
- خد أدي أسمه وعنوانه وعنوان شغله وأتصرف بسرعة، عشان رأيي متوقف علي رأيك .
- يعني لو ما عجبنيش مش حتوافقي ؟
- طبعاً مش حوافق .
- جايز يعجبك إنتَ وما يعجبنيش أنا .
- برده مش حوافق .
- جايز رأي أنا غلط وإنتِ رأيك صح .
- يبقي برده مش حوافق . . . . إنت دايماً رأيك صح .
- مش للدرجة دي .
- أنا مقدرش أعمل حاجة إنت مش موافق عليها .
- حاضر ياستي .

غاب شوقي عنها يومين، ثم قابلها، وبادرته قائلة :

- عملت إيه ؟
- شفته واتكلمت معاه .
- إزاي ؟

- لحسن الحظ فيه واحد صاحبي يبقي زميله، وزرتهم في الشغل، وإتكلمت معاه .
- وإيه رأيك ؟
- شاب ممتاز وأقدر أقول مبروك .
- يبقي أنا موافقة، وحقول لمدام كوثر .

أخبرت محفوظة أمها موافقتها، كما أخبرت مدام كوثر بالموافقة قائلة :

- يقدر حمدي ووالده يشرفونا ويقابلوا ماما .

سألتها كوثر :

- ييجي يشرفوكوا أمتي ؟
- الوقت اللي يناسبهم .
- يبقي إن شاء الله ليلة الجمعة الجاية .
- يشرفوا وينوروا .

في لية الجمعة المتفق عليها حضر حمدي ووالده ووالدته وأخته وخالته مدام كوثر . . . كان الجميع مبهورين بجمال محفوظة . . . مال والد حمدي علي أبنه قائلاً :

- عرفت تنقي يا واد .

بدا حمدي في غاية السعادة، وهمس في أذن محفوظة خلسة قائلاً:

- مش حتندمي في يوم من الأيام إنك قبلتيني .

قضي الجميع ليلة سعيدة . أبدي والد حمدي استعداده لتنفيذ رغبات العروس، وأنهم لا يجب أن يتحملوا شيئاً فوق طاقتهم .

بعد عودة الضيوف إلي منزلهم جلسوا يتبادلون الحديث عن العروس وأهلها قال والد حمدي:

- البنت دي لو أخلاقها زي جمالها يبقي مفيش منها .

علقت أخت حمدي في شيء من الغيرة .

- بس ياريت متكونش مغرورة عشان جمالها .

قالت أم حمدي :

- البنت باين عليها ممتازة وخالتك عارفاها كويس ولو كانت مش كويسة خالتك لا يمكن ترشحها لأخوكي

كانت مدام كوثر تسمع حديثهم وهي صامته تركتهم يتكلمون ما شاءوا وبعد أن انهوا كلامهم قالت هي :

- البنت دي معايا في الشغل، وأخلاقها أكتر من ممتازة وما حدش يقدر يقول في حقاها حاجة .

علق حمدي قائلاً :

- يا جماعة ما تنسوش إن دي نقاوة خالتي .

أما سميحة وأولادها فقد ابدوا ارتياحاً لهذه الأسرة، وقالت سميحة :

- باين عليهم ناس طيبين .

رد أحمد قائلاً :

- المهم حمدي . . . أيه رأيك يا محفوظة فيه ؟

قالت محفوظة :

- مش بطال .

قالت أختها سلمي :

- إنتِ حتجنينيني ؟ ده مش بطال ؟ أمال عايزة أحسن من كده إيه ؟

ضحكت محفوظة قائلة :

- يابنت أنا ما قلتش وحش، مش بطال يبقي حلو .

ضحك الجميع .بعد يومين تقابلت محفوظة وشوقي، وحكت له كل ما دار في ليلة الاتفاق تفصيلياً وبعد عدة أيام اصطحب حمدي عروسه مع أمها وأخته وأمهما لانتقاء الشبكة .

قال حمدي لعروسة :

- نقي الحاجة اللي تعجبك .

قالت أمه :

- ما يهمكيش، الحاج – تقصد والد حمدي – متبرع بالشبكة مهما كان ثمنها .

قالت أم محفوظة :

- كتر ألف خيره . بس إحنا ننقي الحاجة المعقولة .

انتقوا الشبكة، وقالت محفوظة لحمدي :

- إيه رأيك ؟

قال حمدي :

- اللي يعجبك أنا موافق عليه . لأني عارف أن ذوقك كويس .

***

تمت الخطبة وبدأ حمدي يتردد على منزل محفوظة ويصطحبها في بعض الأوقات للخارج، وتعمدت محفوظة أن يجلسا في المكان الذي اعتادت أن تجلس فيه مع شوقي كما بدأ يصحبها لتشرف على تجهيز الشقة. كان حمدي محترماً ولم يحاول أن يتعدي حدود الأدب كما فعل سامي، وجعلت محفوظة تقارن بينه وبين سامي فوجدت إنه لا وجه للمقارنة .

أحست محفوظة أن حمدي يعتز بشخصيته، ولا يتصرف كسابقه من التجسس عليها والشك فيها . . . وملاحقتها في العمل وفي الشارع، وعندما جلست مع شوقي حكت له كل شيء، وما تشعر به من الأمان تجاه حمدي .

قال شوقي :

- الوقت أقدر أطمئن عليكي .
- ما تنساش إنك اللي خليتني أفكر بعقل وأقابل الدنيا بعد ما كانت مدمراني .
- لأنك في الأساس إنسانة كويسة، والإنسان الغبي اللي يفكر إن الجمال ده وراه نفس ضعيفة .
- ما حدش فاهمني قدك .
- حمدي بدأ يفهمك، وعشان كده أنا متوقع إنك حتكوني سعيدة معاه.
- أنا سعيدة طول ما إنت جنبي، وحاسة بالأمان، على فكرة أنا هابقي زيك .
- إزاي .
- إيه يا أستاذ ؟ إنت نسيت ؟ الروح والحياة ؟

ضحك شوقي . قالت له :

- فهمت ؟
- طبعاً .
- طيب فهمت إيه ؟
- قولي وأنا حقول لك .
- أنا عارفة أن تفكيرنا واحد .
- قولي .
- أنت روحي وهو حياتي .
- بالضبط .
- عايزة أسألك سؤال صريح وتجاوبني عليه بصراحة .
- قولي .
- إنت مش زعلان ؟
- من إيه ؟
- أني حتجوز .
- لأ .
- أمال فين الحب ؟
- مفيش كلام أنا أكيد بحبك، ومش معني كده تقعدي من غير جواز على طول، وأبقي أنا متجوز وسعيد مع مراتي وإنتِ قاعدة من غير

جواز .و تبقي محرومة من بيت وأولاد هل ده يبقي عدل ؟ . طبعاً لأ، زي ما أنا متجوز إنتِ كمان لازم تتجوزي وتكوني بيت وأسرة .

- رائع يا شوقي، قد إيه أنا سعيدة بحبك ! . . لكن فيه سؤال تاني .
- قولي .
- أنت ما فكرتش في باشتهاء ؟
- يعني إيه ؟
- يعني مش بتشتهيني زي الرجالة ؟ ما حركتش فيك الشهوة ؟
- يوم ما أفكر فيكي باشتهاء حتنزلي في نظري، مش حيبقي لك قيمة حلوةعندي . حقيقي إنتِ بنت حلوة زي الناس ما بيبصوا لها علي انها بنت جميلة . وانما أنا حبي ليكي فوق مستوي الشهوة
- ياه علي الكلام الجميل ، قول كمان
- أنامش بحبك عشان جمالك الزائد عن الحد، ولا عشان الشهوة، أنا عندي فضيلة إنسانة جميلة جداً، وشبعان مش ناقصني حاجة .
- أمال بتحبني ليه ؟
- قلت لك قبل كده الحب لا يعلل، ومالوش سبب .

- تصور أن ده نفس إحساسي، بحبك وبقدرك وبموت فيك، لكن عمري ما فكرت فيك كراجل وأنا ست وزي أنت ما قلت، لو فكرت فيك بالطريقة دي كنت حتبقي زي أي راجل وتفقد صورتك الجميلة .

مرت بعد ذلك فترة صمت قصيرة . . نظر إليها شوقي فإذا بعينيها تدمعان . . ذهل شوقي وقال لها :

- إيه يا محفوظة فيه إيه ؟
- صعبان علي .
- من إيه ؟
- كان نفسي فرحتي تكون كاملة .
- إزاي ؟
- كان نفسي تكون أنت جوزي .
- يا ستي أحنا أكتر من زوجين . . حنعوز من بعض أكتر من كده إيه .
- كان يبقي حبنا كامل .
- حبنا كامل وأزيد من الزيادة، ومفيش أكتر من كده حب، وربنا يديمه علينا على طول .
- يارب يا حبيبي . . من قلبي بقولها .
- واللّه العظيم من قلبي أنا كمان ...

الفصل العاشر

جلس شوقي وحيداً في المكان المعتاد لهما معاً . . . . لكن هذه المرة جلس وحيدا، بدونها، ولم يشأ أن يخبرها بحضوره هذا المكان . . جلس يفكر في نفسه وفي محفوظة .

إنه يحب محفوظة، ولا شك في هذا، ولكن حبه لمحفوظة لم يستطع أن يجب حبه لزوجته . . . إنه يحب زوجته فهي راحته، بيته، مأكله ومشربه وملبسه، هي أم أولاده، هي حياته التي يحياها. ولا يسمح لأي ضرر يمسها، أو يهدم كيان أسرته السعيدة، رغم كل ذلك فهو يحب محفوظة، ولا يستطيع أن ينكر ذلك واستطاع أن يخرجها من أزمتها التي أحدثها جمالها في نفسها وأصبحت الآن هادئة النفس وهو يعلم تماماً أنها تحبه ومكتفية بوجوده بجوارها ولا تطمع في أكثر من ذلك . . . وإنه لا يستطيع أن يعطيها أكثر من ذلك، وهي لا تستطيع ان تعطيه أكثر من ذلك .

إنها الآن ذاهبة إلى مرحلة جديدة في حياتها، وبدأت تضع قدميها علي الطريق الصواب . . . حمدي إنسان محترم، وقد بدأت ترتاح إليه وتقتنع به، ولابد لها أن تتفرغ لحياتها المستقبلية، ولهذا لابد له أن ينسحب من حياتها . إن وجوده بجوارها سوف يحول بينها وبين

حمدي، وقد يكون عائقاً بينهما، وأيضاً قد يكون وجوده سبباً لخلافات بينهما .إنه من الصواب أن يفترقا حتى تسير هي في اتجاه واحد وهو اتجاه حمدي

ولكن، هل يفترقان إلي الأبد ؟ هل يستطيعان ذلك ؟ هل ينتهي ما بينهما هكذا بسبب زواجها ؟ إنه متزوج ولم تغير هي شيئاً في مسيرة حياته الزوجية أو تجب حبه لزوجته . . . فليفترقا الآن حتى تسير هي في حياتها الزوجية سيراً صحيحاً، ثم بعد ذلك يفعل اللّه ما يشاء، إن كان قدرهما أن ينتهي حبهما عند هذا الحد أو قد يكون الغد قد أعد شيئاً آخر .

في اليوم التالي تقابل شوقي مع محفوظة، وجاءا مكانهما المعتاد، كان شوقي صامتاً يفكر . داعبته محفوظة قائلة :

- حبيبي يفكر في إيه ؟
- فيكي .
- اللّه إيه الهنا والسعادة دي يا تري بتفكر في إيه ؟
- يعني يا محفوظة . . . حمدي قدر يفهمك وعشان كده أنا متوقع إنك حتكوني سعيدة معاه .
- أنا سعيدة طول ما إنت جنبي .

- اسمعي يا محفوظة . . . أنا الوقت أطمانيت عليكي، وإنتِ لازم تتفرغي لبيتك الجديد وحياتك الجاية بحيث تفكيرك يبقي كله في بيتك وجوزك.

قالت محفوظة بفزع :

- إنت بتقول أيه ؟ أوعي تكون . . . . . مش قادرة أنطق .
- ده شيء لازم يحصل .
- هو إيه اللي لازم يحصل ده ؟
- إن إحنا نسيب بعض .
- مش ممكن يا شوقي،إنت كده حتدمرني تاني . . . . أنا عملت أيه؟
- الحياة لازم تمشي صح .
- صح إيه وزفت إيه، الصح إنك تسيبني ؟
- أمال الوضع إزاي وإنتِ متجوزة وأنا متجوز ؟
- زي ما إحنا الوقتي .إيه الجديد إنت متجوز وأنا معاك أهه، فيها أيه لما أنا أتجوز ونفضل زي ما أحنا؟
- مستحيل .
- يبقي حا أفسخ الخطوبة .

- أوعي . . . إنتِ بدأتي تمشي في الطريق الصح، والصح اللي أنا بقولك عليه .
- إنت اللي خلتني أوافق علي الخطوبة
- عارف
- يبقي إيه الجديد ؟
- الجديد جاي
- يا أخي جالك قلب تقول كده ؟
- عايز كل تفكيرك وعواطفك تكون مع حمدي، عشان حياتك الجديدة تنجح وتبقي الأمور ماشية صح.
- ما أنا برده مش حقدر أنساك .
- خلينا ذكري حلوة لبعضينا . . . حبينا بشرف وافترقنا بشرف .

صرخت قائلة :

- إيه اللي بتقوله ده،إنتِ بتتكلم ببساطة كأن الموضوع عادي .
- لما الواحد يكون له شخص عزيز عليه ومات، مش حينساه أنما حيبقي ذكري .

قالت دامعة :

- صعب يا شوقي . . هو ده مش صعب عليك ولا إيه ؟

- والله العظيم صعب . . أصعب مما تتصوري .
- وحتقدر تنسي ؟
- الزمن . . . الزمن كفيل يخفف الأحزان، وبكره الزمن يثبت لك أحنا اتصرفنا صح . . . . علي الأقل قدام نفسنا .
- طيب ما تخلينا زي ما أحنا ؟
- ما ينفعش . . . . .يبقي غلط . . . . تحبي نعيش في غلط .
- طيب ما أنت معايا آهه وأنت راجل متجوز هل ده غلط ؟ وأنا معاك وعارفة أنك رجل متجوز يبقي غلط ؟ أحنا بنحب بعض لكن ما بنعملش حاجة غلط، كفاية أن أحنا بنحب بعض من غير غلط . . يعني حب نظيف .
- يمكن نغلط .
- مش حيصل، ولا يمكن يحصل، لا إنت ولا أنا حنسمح بالغلط .
- برده الفراق عشان مصلحتك .
- إنت مصمم على الفراق .
- أيوه .
- معقول حبنا ينتهي بالطريقة دي ؟
- حبنا لا يمكن ينتهي

- امال تسمي ده ايه ؟
- سيبي الزمن يتصرف ؛

نظر إليها شوقي فوجد عينها غارقتين في الدموع، هزها من كتفها وقال:

- فين محفوظة القوية المعتزة بنفسها .

قالت والدموع تسيل من عينها :

- ده مع غيرك أنما معاك أنا بادوب .
- صدقيني حمدي إنسان كويس وحيعوضك عني كتير .
- استحالة .
- العشرة حتثبت لك كلامي .

وانهمرت دموعه فلم يستطع أن يحبسها نظرت إليه وقالت :

- حرام عليك تعمل فينا كده.

تهدج صوته وقال :

- الصح لازم يمشي وغصب عني وعنك لازم يمشي .
- مش بقول لك إنك إنسان عظيم لو واحد غيرك كان انتهز حبي له فرصة يتسلي عليها .
- يبقي مش بيحبك.... إنما أنا بحبك وحاطك في قلبي في منزلة الملاك .

- ياه يا شوقي . . سكاكين بتقطع في قلبي . . آه يا عذابي أعيش في عذاب ويوم ما أحب أحب واحد متجوز .
- ماعندكيش فكرة عن العذاب اللي أنا فيه .
- طيب لما هو كده، متخلينا زي ما إحنا .
- مستحيل عشان مصلحتك والله العظيم .

وحتي لا يضعف أمامها نهض واقفاً ونظر إليها بحب وحنان والدموع تملأ عينيه وقال لها :

- تسمحي لي في حاجة قبل ما أمشي عمري ما عملتها معاكي ؟

رفعت رأسها إليه والدموع تسيل من عينها وقالت :

- أطلب روحي، أطلب عيني، أطلب حياتي .

قال شوقي :

- أبوسك قبل ما أمشي .

أغمضت عينيها ومدت إليه وجهها . . . طبع عليه قبلة . . . . وانصرف .

هل هي قبلة الوداع أم للزمن رأي آخر؟ .....الله وحده هو الذي يعلم .

الجزء الثاني

الفصل الاول

... وحتي لا يضعف أمامها نهض واقفاً ونظر إليها بحب وحنان والدموع تملأ عينيه وقال لها :

- تسمحي لي في حاجة قبل ما امشي عمري ما عملتها معاكي ؟

رفعت رأسها إليه والدموع تسيل من عينها وقالت :

- أطلب روحي، أطلب عيني، أطلب حياتي .

قال شوقي :

- أبوسك قبل ما أمشي .

أغمضت عينيها ومدت إليه وجهها... طبع عليه قبلة.... وانصرف.

هل هي قبلة الوداع أم أن للزمن رأيٌ آخر ؟ الله وحده الذي يعلم .

وهكذا افترقنا رغم إرادتهما.. كان شوقي يعتقد أن ظروفهما هي التي اجبرتهما على هذا التصرف، وليس نتيجة خلاف بينهما، أو فتور في عواطفهما.

ظلت في مكانها تبكي . . . الدموع تسيل من عينيها وهي لا تصدق أن شوقي تركها، وأنها سوف لا تجلس معه مرة ثانية . . . سوف لا

تجده حتى تبثه مشاعرها، وتحكي له مشاكلها، ويجد لها الحلـول... إنه دائما صائب الرأي . . .

جففت دموعها، وارتدت نظارتها حتى لا يرى أحد أثر الدموع في عينيها، وقامت متخاذلة تجر قدميها جراً، استأجرت سيارة أجرة وطلبت من السائق أن يذهب بها إلي منزلها . . . لاحظ السائق أنها واجمة، الدموع تترقرق من عينيها، قال لها:

- يا بنتي روقي وصلي على النبي، إيه اللي مزعلك.

قالت له :

- معلش خليك في حالك

سكت السائق ولم يعقب، دخلت المنزل . . . قابلتها أمها قائلة:

- إيه يا محفوظة فيه إيه ؟
- مفيش حاجة يا ماما .
- شكلك كده تعبانة .
- قوي يا ماما، وعايزة أستريح .
- اتغدي ونامي . . . أنتي حاسة بإيه ؟
- مفيش يا ماما . . . حاسة بتعب وإرهاق وعايزة أستريح .
- خلاص اتغدي ونامي .

- لأ، مش حاكل، بس حنام . . . أنا أكلت سندوتش في الشغل، ومن فضلك يا ماما مش عايزة حد يزعجني .

بدأت تكدب في بعض أقولها، رغم أنها كانت معتادة على الصراحة وعدم الكذب خصوصًا مع أمها.

دخل أخوها أحمد عليها، فوجدها مكتئبة فقال لها مازحاً:

- إيه يا محمح، الجميل زعلان ليه ؟
- أبداً يا أحمد، بس تعبانة وعايزة أنام .
- يعني مفيش حاجة .
- لا يا حبيبي .

قالت لها أمها :

- بس يا بنتي اتغدي الأول وبعدين نامي .
- يا ماما قلت لك أكلت في الشغل قبل ما أجي ومالیش نفس وعايزة أنام.
- خلاص يا بنتي . . . خشي نامي .

كانت ماتزال ترتدي نظارتها حتى لا ترى أمها أو أخوها أثر الدموع في عينيها، دخلت حجرتها وأغلقت الباب، وخلعت نظارتها وملابسها، واستلقت على السرير، وانخرطت في البكاء، وجعلت تكلم

نفسها هامسة: إيه اللي حصل ده ؟ أنا مش مصدقة . . . شوقي كده بمنتهي البساطة يضيع مني ؟ مستحيل، هو بيحبني وأنا بحبه... أنا متأكدة... كان يجري إيه لو فضلنا مع بعض زي ما احنا، طيب ما هو متجوز . إيه بقي الجديد ؟ أنا ماطلبتش منه حاجة، غير إننا نشوف بعض، يبقي إيه الجديد ؟

آه . . . الجديد في أنا، لأني خلاص حتجوز، وعشان كده أخد قراره عشان يخليني ما أفكرش إلا في حمدي، وعشان حياتي تمشي صح وما يبقاش فيه مشاكل . . . طيب المشاكل حتيجي منين ؟ طبعاً لازم يكون فيه بعض المشاكل لأني حفكر فيه وأنا مع حمدي . . . طيب ما هو بيفكر في وهو مع مراته . . . جايز هو يقدر يمسك نفسه وأنا ما أقدرش أمسك نفسي ؟ . . . آه يا عذابي . . . أعيش في عذاب بسبب جمالي، ويوم ما ألاقي راجل يفهمني ويقدرني وأحبه ويحبني يطلع متجوز وعنده أولاد . . . إيه الحظ الزفت ده . . .طيب أعمل إيه يا ربي . . . ما فيش قدامي غير أني أنفذ رغبته . . يا سلام . .. إيه الراجل ده ؟ إيه العظمة دي اللي هو فيها ؟ مين يصدق إن فيه إنسان كده ؟ يا بختك يا مراته . . . يا بختك بيه مليون مرة، أنا لو مطرحك أبوس رجله كل يوم . . وأسجد لربنا إنه

اداني راجل زي ده... أنا بأحسدك... لكن أكيد أنتي تستاهليه، وعشان كده هو بيحبك وما يقدرش يستغني عنك ولا يزعلك، مع إني متأكدة أنه بيحبني ... واستغرقت في النوم...

أما شوقي فقد ظل يسير في الشوارع هائماً لا يدري أين ولا إلي أين يسير وما هي وجهته... تجمد تفكيره... وأخيراً وجد نفسه على كورنيش النيل... جلس على أحد المقاعد . . . وضع رأسه بين يديه وانفجر في البكاء الصامت . . . إنه لم يضعف في حياته أمام أمر من الأمور، ومرات بكائه قليلة في حياته، ولكن المصاب هذه المرة فادح... فادح . . . فادح . . . ولكن ماذا يفعل ؟ إنه لابد أن يتصرف على النحو الذي تصرف به حتى يجعلها تبتعد عنه، وتتفرغ لحياتها مع حمدي، وتنعم بالاستقرار الأسري... رغم شعوره بالآلام المبرحة.

نظر إلى النيل وإلى امواجه المتتابعة، وتمنى لو باستطاعته أن يبث همومه ويفضها إليه، لعل هذا يكون متنفسًا له فيما يعانيه .

راح في غفوة لم يدر إن كان واعياً أو نائماً، لم يدر أيضا إن كانت قصيرة أم طويلة، ثم أفاق ورفع رأسه فإذا بشيخ وقور يجلس بجانبه. وضع الرجل يده على كتفه وقال :

- أنا مارضيتش أرمي عليك السلام لما لاقيتك نايم عشان ما أزعجكش .

كان صوت الرجل وقورًا، ويبعث على الارتياح، مما جعل شوقي يشعر بالراحة تجاه الرجل، ولهجته التي تبعث على الأمان والثقة.

رد عليه شوقي بصوت متهدج :

- والله يا عمي أنا مش عارف إن كنت صاحي ولا نايم .
- ليه يا ابني كفي الله الشر فيه إيه ؟
- الحمد لله علي كل شيء .
- صلي على النبي ووحد الله .
- عليه الصلاة والسلام ولا إله إلا الله .
- إيه يا أبني يبكيك، اللي أخد هو العاطي، والعاطي هو اللي أخد، وكل شيء بأمره وحكمته .
- ونعم بالله يا عمي .
- باين عليك ابن ناس ومش وش بهدلة، إيه اللي راح منك ؟
- حاجة كبيرة غالية قوي .
- أبوك، أمك ؟
- لا يا عمي، اللي راح هو عمري .
- إنت لسه شباب وعمرك لسه طويل .
- الحمد لله .

- قول يا إبني يمكن أقدر أساعدك .
- اللي بيساعد العباد ربنا .
- ونعم بالله، نزل حمولك من علي كتافك عشان تستريح .

توسم شوقي الطيبة في ملامح الشيخ، وأحس من نبرات صوته بالارتياح، وكان فعلاً في حاجة ماسة لأحد يخفف عنه عبء ما يعانيه، فقد ناء بجمله منفرداً، لكنه وجد أخيراً من يستطيع أن يحكي له ..كان في مأزق حقيقي حيث لايستطيع أن يبث همومه أو يفضي بسره لأحد، ورأي أن وجود الشيخ فرصة ساقها القدر إليه ليزيح عن نفسه بعض ما يعانيه . قال :

- همي كبير يا والدي .
- تبقي مسألة حب .
- أيوه يا والدي مسألة حب .
- الحب يا إبني سعادة مش شقاء .
- لكنه عندي شقاء مش سعادة .
- ليه يا إبني ؟
- المشكلة أني متجوز وعندي أولاد .
- وهي ؟

- لسه .
- طيب ما تتجوزها .
- ما أقدرش .
- ليه ؟
- بحب مراتي وعيالي، ولو اتجوزتها اهدم بيتي واخسر مراتي واولادي ومقدرش في نفس الوقت أزعل مراتي .
- طيب وبتحب التانية ليه لما انت بتحب مراتك كده ؟
- ما اعرفش، لكن بحبها جداً وبموت فيها، وفي نفس الوقت ما أقدرش استغني عن مراتي وعيالي .
- آه ... هي فعلاً مشكلة عشان بتحب الاتنين وماتقدرش تستغني عن واحدة منهم.
- هي دي المشكلة .
- تبقي تسيبها وتنساها، ومراتك وأولادك في الحالة دي أهم .
- هو ده اللي حصل .
- وليه بتبكي ؟
- عشان سايبها بتبكي .
- قلت لها إيه ؟

- قلت لها عيشي حياتك، وكوني بيت وأولاد زي ما أنا عندي بيت وأولاد .
- خير ما عملت . . . اللي انت عملته عين العقل .
- بس حاسس بسكاكين بتقطع في قلبي، ونار مولعة في جسمي .
- كل شيء حيهدأ، وانت إنسان عظيم عشان عملت كده وقدرت تواجه حبك بثبات،خليك زي ما انت جامد وأوعي تضعف .
- لا يا عمي ده قراري ومش حارجع عنه .
- ربنا معاك يا أبني، قوم أغسل وشك وإتوضأ وصلي ركعتين لله، وإدعي ربنا يقويك . . قوم يا أبني روح لمراتك وعيالك وحطهم في عينيك، لأنهم هم الدوا الشافي لحالتك .

جفف دموعه، وقام متثاقلاً وتوجه إلي منزله قابلته زوجته ولحظت تغيراً على وجهه . قالت له :

- مالك يا شوقي فيه إيه ؟
- أبداً مرهق وتعبان وعايز أنام .
- خلاص اتغدي ونام .

ولشدة ثقتها فيه لم يتطرق الشك إلى ذهنها في أن تغيرًا طرأ عليه أو أنه يعاني من شئ ما. وحتى لا تلاحظ زوجته شيئاً، تناول من الطعام

قليلاً ثم نهض متوجهاً إلي حجرة نومه، واستلقي علي السرير، ونادي زوجته . . . حضرت . . . قال لها :

- تعالي نامي جنبي .
- طيب حروح أنيم العيال وآجي لك .

أدخلت الطفلين حجرتهما، ثم عادت إلي شوقي، ورقدت بجواره. طوقها بذراعيه، وظل يضغط عليها ويقبلها بنهم... صحيح أنه يفعل هذا دائما، ولكن هذه المرة زاد في فعله... قال لها :

- بحبك يا فضيلة .

قالت له، وهي بين ذراعيه :

- مش قد حبي لك . . . ربنا يخليك لي .

قال لها :

- ويخليكي لي . . . أحبك علي طول وتملي بيتي وحياتي سعادة.

قالت :

- طول ما أنت معايا أنا سعيدة . . . ما انحرمش منك .

كان يحاول أن يطرد خيال محفوظة من مخيلته وقلبه، وذلك بإغداق حبه علي فضيلة ... حتى تعوضه عن حبه لمحفوظة ... ثم نام بين ذراعي زوجته، نظرت إليه وهو نائم، لم تدر لماذا دفعتها

عاطفتها إلى الرغبة في تقبيله، فطبعت قبله على خده .. أحس بها ففتح عينيه وابتسم، وطوقها بذراعيه وقبلها في شفتيها.

ظلت محفوظة في سريرها، وعندما حل المساء فتحت أمها الباب بهدوء فوجدتها ما زالت في سريرها نائمة . . . نادت عليها بهدوء... ردت محفوظة بصوت خافت :

- أيوه يا ماما فيه حاجة ؟
- قومي يا بنتي احنا بقينا بالليل، وعشان تعرفي تنامي بعد كده .
- لأ يا ماما، سيبوني لحد الصبح عشان آخد راحتي في النوم .
- حتفضلي لتاني يوم في السرير إيه يا بنتي فيه إيه ؟
- أبداً والله يا ماما عايزة آخد راحتي أنا ورايا إيه أعمله ؟
- يعني بصراحة مفيش حاجة مضايقاكي ؟
- كنت أقول لك، إطمني يا ماما .
- الله يريحك يا بنتي .

كانت أمها تعتقد أنها لا تخفي عنها شيئًا، وتثق في كلامها ولهذا صدقت أنها متعبة وتحتاج للراحة، ولو كانت تعاني شيئًا لأخبرتها.

عندما حل الصباح لم تخرج محفوظة من حجرتها، ذهبت أمها إليها فوجدتها راقدة في سريرها وهي ساهمة . قالت لها :

- قومي يا بنتي وكفاية نوم .
- مش قادرة يا ماما .
- يعني إيه ؟
- مش رايحة النهاردة الشغل .
- أنتي عيانة يا بنتي ؟
- لأ يا ماما .

صاحت أمها قائلة :

- أمال فيه إيه ؟
- مفيش يا ماما، عايزة أستريح .
- تستريحي من إيه ؟ هو فيه إيه يا بنتي ؟
- واللّه أبداً يا ماما، أنا عايزة أستريح . . . التعب حل على جسمي وعايزة أستريح .
- انت كنتي بتشيلي حديد عشان تستريحي ؟
- يا ماما عادي لا حديد ولا غيره، فيها إيه لما آخد راحتي زي ما أنا عايزة؟
- خلاص استريحي زي ما انت عايزة، أما أشوف لغاية امتى .
- خلاص يا ماما حاقوم بعد شوية.

- يعني انت مش عيانة ؟
- لأ يا ماما .
- ولا حاجة مضايقاكي في الشغل ؟
- أبداً والله يا ماما .
- طيب قومي عشان تفطري مع أخوكي .
- إفطروا انتوا واتكلوا على الله، وأنا حقوم براحتي وآكل .
- اللي تشوفيه يا بنتي .

***

استيقظ شوقي في الصباح قال لزوجته :

- أنا النهاردة مش رايح الشغل وقاعد معاكي .
- مش رايح الشغل ليه ؟
- عايز أقضي اليوم كله معاكي .
- بس كده حاأعطلك عن شغلك.
- انت أهم من الشغل.
- اللي تشوفه يا حبيبي .

قضي شوقي يومه كله مع زوجته... لم يخرج من المنزل، وظل معها يداعبها وتداعبه... كان يحاول بكل هذا أن يطرد شبح محفوظة من خياله .

أما محفوظة فقد ظلت في سريرها إلي أن عادت أمها من عملها ووجدتها ما زالت في سريرها . قالت لها :

- أنت لسه راقدة في السرير ؟ مش معقول .

قالت محفوظة متماسكة :

- هو إيه اللي مش معقول ؟
- نومك في السرير من أمبارح .
- أبدا يا ستي، أنا قمت وأكلت ورقدت تاني عشان استمتع بالراحة .
- واستريحتي ؟
- الحمد لله .
- خلاص ... قومي بأه من السرير .
- حاضر يا ماما .

تركت السرير، وحاولت أن تبدو طبيعية حتى لا تلحظ أمها حزنًا يبدو عليها، وجاهدت في رسم الابتسامة على شفتيها رغمًا عنها، وزيادة على ذلك حاولت أن تداعب أخاها حتى لا تثير شكوك أمها.

في المساء، حضر حمدي، قال لها :

- خالتي قالت إنك النهاردة ما رحتيش الشغل . خير فيه حاجة؟
- أبداً كنت تعبانة وحبيت أستريح .
- حاسة بحاجة لا قدر الله ؟
- أبداً يا حمدي .
- لو حاسة بحاجة نروح للدكتور .
- أبداً مفيش، شوية تعب عادي .
- الحمد لله يا حبيبتي .
- بقول لك إيه ؟
- قولي .
- يلا نخرج شوية .
- إلبسي ويلا بينا .

ارتدت ملابسها، واستأذنت من أمها التي قالت لها :

- ما تبقيش تتأخري .
- حاضر يا ماما .

كانت أمها تثق في حمدي وتقدره، عكس ما كانت تشعر به قبل سامي فقد كانت تصرفات حمدي وكلامه يوحي بالثقة والأمان.

خرجا معاً... تعمدت أن تصحبه إلي المكان الذي شاهد أخر لقاء لها مع شوقي . . . قال حمدي باسماً :

- ألف سلامة لحبيبي .
- الله يسلمك .

كان ينتظر منها أن ترد عليه مضيفة إلي قولها " يا حبيبي " ولكنها لم تستطع أن تقولها، فلم تكن تقولها إلا لشوقي ... أما حمدي فلم تعتد أن تقولها له بعد . .. نظر إليها نظرة عتاب، ولكنه لم يفصح لها عن رغبته .

قالت محفوظة :

- عايزاك تعدي علي باستمرار . . . عايزة أشوفك على طول .

قال بسعادة :

- يا سلام . . . دي أمنيتي .

ظن حمدي أنها تريد أن تراه دائماً حباً فيه، فبدت علي وجهه السعادة الطاغية... أما هي فقد كانت تريد فعلاً أن تراه يومياً... كانت تريد أن تعتاد رؤياه، كما أنها كانت تريد أن تخفف من وطأة فقدها لشوقي... كما أنه قد يكون في رؤياه المستمرة عوضاً لها وتسرية عن شوقي.

كان حمدي شخصية جاذبة وليست منفرة كسامي، مما جعلها تلجأ إليه ليخفف عنها وطأة غياب شوقي.

ذهب شوقي إلي ناظر المدرسة وقدم طلباً للنقل إلي مدرسة أخري بعيدة دهش الناظر عندما قرأ طلب النقل . قال لشوقي :

- إيه ده يا أبني ؟
- لو سمحت دي رغبتي .
- فيه حد يطلب نقله لمكان بعيد؟
- أنا
- فيه حاجة حصلت مضيقاك ؟
- أبداً حضرة الناظر .
- وعايز تروح فين ؟
- أي مدرسة بعيدة عن هنا ... السيد المدير العام قريب لحضرتك ياريت سيادتك . . . تجيب موافقته .
- فكرت كويس في الطلب ده ؟
- أيوة سيادتك
- لو في حاجة مضيقاك قول عليها
- صدقني مافيش حاجة.

- طيب وعايز تبعد ليه؟
- أغير جو

لما رأى إصراره على طلب النقل قال له :

- خلاص يا أبني بعد الحصص تعال معايا نعدي عليه في المكتب.

فعلا توجه الناظر وبرفقته شوقي إلي مكتب المدير العام... وقدم له طلب النقل سأله المدير العام :

- وعايز تروح فين ؟
- أي مدرسة بعيدة .

قال المدير العام بدهشة :

- بعيدة ؟ حد يطلب نقله لمكان بعيد ؟
- معلش سيادتك .
- أنا حوديك مدرسة بعيدة بس مش نقل، حتروح ندب بحيث إذا حبيت ترجع نلغي الندب .
- أشكر سيادتك يا فندم .

كان يبغي من هذا الأجراء أن يبتعد عن طريق محفوظة الذي تعود أن يتقابلا فيه، وحتى لا يدع للصدفة طريقاً لهما للتقابل .

***

قامت محفوظة بدعوة زملائها بالعمل، كما دعت فضيلة بحكم صلتها بأختها وطلبت من حمدي أن يدعو شوقي شقيق زوج أختها وفعلاً أتصل حمدي هاتفياً بشوقي ودعاه لحضور حفل الزفاف.

في ليلة الزفاف جلست بجوار حمدي... كان منظرها بديعاً غاية الإبداع... كالملاك الجالس على عرش الجمال... وكان حمدي يرقص فرحاً وقلبه يكاد يتوقف عن النبض لشدة انفعاله وسعادته وكانت تنظر إلى كل قادم متلهفة حضور شوقي، فجأة رأت فضيلة قادمة تصحب ولديها .... لم يكن شوقي معها... انقبض قلبها لعدم مجيئه وسألت نفسها ما الذي دعاه لعدم المجيء ؟ في المرة السابقة في حفل قرانها على سامي كان شوقي حاضراً فما الذي يجعله يتخلف عن الحضور هذه المرة ؟

سلمت عليها فضيلة وقبلتها مهنأة، ووجدت نفسها تسألها :

- أمال الأستاذ شوقي مجاش معاكي ليه ؟

أجابتها :

- شوقي مسافر ومش موجود .

انقبض قلبها ولكنها تماسكت سريعًا حتى لا تبدو عليها الكآبة في ليلة عرسها وافتعلت البسمة، كانت متأكدة أنه سافر خصيصاً لأية جهة حتى لا يتواجد في حفل زفافها.

من العجيب أنه هو الذي دفعها للزواج ؛وأنه جعلها تقبل حمدي زوجا لها .....ومع هذا لم يستطع أن يراها تجلس بجوار رجل أخر سوف تزف اليه بعد قليل ؛مع أنه حضر حفل عقد قرانها قبل ذلك علي سامي؛ ولكن شخصية سامي كانت مهزوزة ولم تكن مثل شخصية حمدي؛ الأمر الذى كان يرى في قرارة نفسه أن معيشتها مع سامي تتطلب وجوده بجوارها؛ أما حمدي فإنها سوف تكون مرتاحة المعيشة معه لأن شخصية حمدي كانت أقوى بكثير من شخصية سامي.... وقد يكون شعورا داخليا بشئ من الغيرة؛ فهو أولًا وأخيرا إنسان تنتابه كل المشاعر.

كان زملاء العمل يجلسون معاً على منضدة واحدة، قال الأستاذ سعد :

- على فكرة محفوظة فيه حاجة مضيقاها .

قال الأستاذ أنور :

- بس المرة ديه حمدي كويس وممتاز، ومش زي الجلف اللي فات .

قال مصطفي :

- مفيش نسبة بين الاتنين، حمدي باين عليه ذوق وابن ناس .

انتهت حفلة الزفاف... وعندما كان حمدي ومحفوظة وحيدين في شقتهما ضمها إليه قائلاً :

- ياه يا محفوظة . . . أد إيه أنا سعيد ؟

سألته فجأة :

- بتحبني يا حمدي ؟
- لأ .

قالت في دهشة :

- بتقول لأ ؟
- وده سؤال... طبعاً لآ، أنا مش بحبك وبس، أنا باموت فيكي... كلمة بحبك دي عبارة عن نقطة في بحر حبي ليكي . . . فاكرة أنا قلت لك إيه ؟
- فكرني .
- قلتلك يوم ما اتفقنا على الجواز مش حتندمي إنك قبلتي تتجوزيني .

- أيوه افتكرت .
- وأنا عند وعدي .

دفعها إلي حجرة النوم . . . وأغلق الباب .

الفصل الثاني

مضت الأيام... حاولت محفوظة أن تؤقلم نفسها على حياتها مع حمدي، وقد نجحت في ذلك، ساعدها على ذلك أسلوب حمدي المهذب في التعامل معها، فقد كان يعاملها بكل الحب، ويخطب ودها دائما... ورغم ذلك لم يكن طيف شوقي يفارقها .

كانت عندما يفيض بها الشوق والحنين إلى شوقي، تجد نفسها في حالة نفسية سيئة، ولكنها كانت تعود إلى طبيعتها وتقول لنفسها: إن حمدي ليس له ذنب حتى تبدو متجهمة أمامة.

خلت يوماً إلى نفسها وجعلت تحادث نفسها... أنا الآن متزوجة، وأعيش في حياة اسرية مستقرة مع حمدي، ولا يوجد بيننا ما يدعو إلى عدم الأمان وهذا ما كان شوقي يهدف إليه ويتمناه... فما الذي جعله يهجرني ؟ ما الذي كان يحدث لو ظللنا على حالنا من التلاقي؟ ما الجديد؟ هو متزوج وأنا متزوجة وهذا واقع ارتضيناه فلم نحرم نفسينا من اللقاء ؟ إني أتحرق شوقاً إليه، أريد فقط أن أراه... يكفيني رؤياه.. لماذا يفعل هذا ؟ لابد أن له هدفاً .. نعم له هدف من هجره لي... لقد قاله... قال إنه لن تستقيم حياتي مع حمدي إلا في فراقه

لي... هذا صحيح ... لابد أن أقر بذلك ... إنه فعلاً على حق... يا عذابي... إني فعلاً أتعذب ولكني يجب أن أتحمل هذا العذاب وأخضع لمشيئته ... إنه فعلا مصيب ويجب أن أتحمل لوعة فراقه ... وأنا أعلم تماماً أنه يعاني مثل ما أعاني، ويكابد أكثر مما أكابد ... فلأحتمل مثلما هو يحتمل .

أنا متأكدة أنه سيعود إلى يومًا ما، فمن غير المعقول أن ينتهي كل هذا الحب هكذا .. لا أصدق أن تكون هذه هي النهاية، ولا بد أن هناك أمورًا سوف تحدث، ما هي ؟ لا أدري ولكنه أمل يراودني.

بدأت تشعر بأعراض الحمل، وكان حمدي في غاية السعادة ومضت شهور الحمل مشبعة بالخوف ... كانت تقول لأمها أنها خائفة من لحظة الوضع وآلامها... وكانت أمها تطمئنها وتزيل عنها مشاعر الخوف قائلة لها إن هذه أول ولادة لها، وإن هذا الشعور تشعر به كل زوجه تلد لأول مرة، وإن كل النساء يلدن ولا خوف من الولادة، كانت تتذكر شوقي ... أين هو الأن منها ؟ لو كان موجوداً معها لأزال عنها شعور الخوف ... إنه الوحيد الذي يستطيع أن يمحو مخاوفها، حتى أمها لم تستطع إزالة مخاوفها كلية .

وضعت طفلها الأول ... وكم كانت سعادتها وسعادة حمدي بمولودهما، وعندما سألها عن الاسم الذي تقترحه لمولودهما أسرعت قائلة :

- نسميه شوقي .

قال حمدي باستغراب في دهشة :

- شوقي ؟ اشمعني شوقي ؟
- مجرد أسم عاجبني

ثم قالت مداعبة

- يا سيدي يبقي شوقي ليك دائم

أحس بسعادة وظن أنها تقصد ما تقوله فقال :

- خلاص يا حبيبتي اللي تشوفيه .

لم يتطرق الشك إلى ذهنه، فقد كانت ثقته فيها كاملة، وأن شخصيتها لا تدعو إلى الشك ولهذا لم يرتب في رغبتها بتسمية ابنها شوقي بل ظن أن شوقها دائم إليه كما قالت:

أصبحت محفوظة ... أم شوقي، قرر حمدي أن يقيم عقيقة لأبنه، دعا لذلك بعض أقاربه ومعارفه، وقامت محفوظة بدعوة أختها وزوجها، كما دعت فضيلة لأنها "سِلْفِة" أختها، وطلبت من حمدي

أن يدعو شوقي حيث أنها دعت زوجته ... وفعلاً اتصل حمدي بشوقي هاتفياً وقال له :

- إحنا إن شاء الله عاملين عقيقة للمولود ويشرفنا حضورك .
- ألف مبروك ويتربي في عزك وعقبال ما نحضر جوازه .
- في حياتك إن شاء الله . . . على فكرة إحنا سمناه شوقي .
- ياه ... شوقي، مالقتوش غير اسم شوقي ؟

قال حمدي ببراءة:

- والله يا أستاذ شوقي المدام هي اللي سمته، وبعدين عشانك يا سيدي يبقي اسم ممتاز .
- الله يخليك على المجاملة الظريفة دي .
- متبقاش تتأخر .
- إن شاء الله آجي .

لم يكن حمدي يشك في زوجته، بل ولم يتطرق الشك إلى ذهنه فقد كان يعتقد أنها تحبه، كما كان على ثقة بأنها تعتز بنفسها، وتحافظ على كرامتها، ولا تحب الابتذال .. وقد كانت هي فعلاً كذلك، إلا مع شوقي، فقد كانت تذوب فيه. وقد كانت من الذكاء بحيث كانت تبدو طبيعية أمام زوجها، وتعامله كما لو كانت مولعة به ... وكان

يعتقد أنها عندما أطلقت على أبنها اسم شوقي لم يكن سوي اسم ارتاحت إليه، وشوقاُ إليه كما قالت :

أما شوقي عندما عرف أنها أسمت ابنها شوقي، تأكد أن حبه متأصل في قلبها وأن الفراق لم يغير شيئًا، ورغم ألم الفراق فقد شعر بالسعادة لذلك.

أخبر حمدي زوجته محفوظة بأنه قد دعا شوقي ... وكم كانت سعادتها، وظلت تحلم بلحظة لقياه، وتسأل نفسها كيف سيكون شعورها عندما يتقابلان بعد هذه المدة الطويلة ... هل ما زال يذكرها ويحبها كسابق عهده؟ إن حبها له لم ينقص، بل أزدادت شوقاً إليه، ولكنها خضعت لظروف حياتها الجديدة كزوجة وأم، مثلما بالضبط حبه لها لم يتعارض مع كونه زوجاً وأباً، وجاءت ليلة العقيقة، وكانت في لهفة لمجيئه، فإذا بها تجد فضيلة تأتي صاحبة ولديها دون شوقي . عانقتها فضيلة مهنأة ... وكادت تسألها لماذا لم يحضر زوجها شوقي، إلا أن زوجها حمدي صافح فضيلة وسألها :

- أمال الأستاذ شوقي مجاش معاكي ليه ؟

قالت فضيلة :

- هو كان جاي معايا، بس فجأة جت له حالة إسهال، حتى أنا كنت حا أقعد معاه وما أجيش، بس هو أصر على إني لازم آجي وأسيبه .

قال لها حمدي :

- سلامته ألف سلامة، أبقي سلمي عليه .

أدركت محفوظة أنه تعمد عدم الحضور حتى لا يلتقيا ولم تصدق ما قالته فضيلة... كادت تبكي لو لا أنها جاهدت نفسها حتى لا تفضحها دموعها .

لم يحاول شوقي أن يعتذر عن الحضور لحمدي، فقد فضل أن لا يكون بينهما صداقة أو اتصال حتى لا يجد نفسه يوماً مضطراً لمجاملته في منزله عندما تقتضي الظروف ذلك .

وعندما طلبت منه فضيلة أن يعتذر لحمدي، ابدي عدم اهتمام وأن الأمر غير ذي أهمية، قائلاً

- كفاية أنت قمتي بالواجب .

انتهت ليلة العقيقة، وعندما جلست إلي نفسها تساءلت: إلى هذا الحد تستطيع أن تملك وتتحكم في عواطفك يا شوقي ؟ أما زلت بعد هذه المدة الطويلة لم تلن إرادتك أو تضعف ؟ كم أنت قوي أيها الرجل... إني احاول أن أكون مثلك ... أقلدك... أتعلم منك كيف

أتحكم في عواطفي ... أنت فعلاً أستاذي ومعلمي ... أحبك رغم كل شيء حتى وأنا لاأراك أو ألقاك ... أنت أمامي دائماً ... بل في دمي، ورغم أني أصبحت زوجة وأماً، فإن حبك هو قدري الذي لا مفر منه... ولم تستطع الأيام أن تنال منه، لقد أسميت ابني باسمك حتى تظل متجسدًا فيه ولا تفارقني رغم فراقك لي ... فأراك دائمًا في ابني.

***

ورويداً رويداً بدأت ترتاح لحمدي وتحبه ... تحبه لأنه إنسان طيب، وزوج يعرف حقوق زوجته عليه، مع أن حب شوقي كان يمتلكها ولم تتخلص منه... وبدأت تعيي كلمات شوقي : الروح والحياة ... فقد أصبح حمدي حياتها الزوجية التي تحياها وتعيشها، أما شوقي فهو روحها التي تحيا بها ... وقالت لنفسها فعلاً يا شوقي أنت إنسان رائع، وعادل، وتعطي كل ذي حق حقه أنا الآن سعيدة في حياتي الأسرية ... ولكن قلبي مازال يخفق بحبك يا شوقي، ويذوب في هذا الحب .

عندما عادت فضيلة إلي منزلها، وحكت لزوجها شوقي تفاصيل العقيقة ... كان هو بالطبع يريد أن يعرف كل شيء عن محفوظة .

لقد أدعي المرض حتى لا يذهب مع زوجته، خاف على نفسه أن يضعف أمام محفوظة، أو تفضحه عواطفه، فآثر السلامة .

إنه مازال يحبها ولم يتغير شيء، سوى أنهما لم يعودا يلتقيان... أما الحب فهو كما هو لم يعتره تغيير أو نقصان .

خاف أن تخونهما أعصابهما، أو تفضحهما عيونهما ويلاحظ حمدي أو فضيلة شيئاً يعتريهما عند التلاقي، فآثر السلامة بعدم الحضور .

ظل شوقي يبحث عن عقد عمل بالخارج، واستطاع أن يحصل على عقد عمل مدرساً بالسعودية قالت له زوجته محاولة إثناءه عن السفر :

- يا شوقي مفيش داعي تسافر .
- يا ستي نجرب ونجيب قرشين .
- الحمد لله إحنا مستورين، وأنا عندي دخل وأنت عندك دخل غير وظيفتك ومش محتاجين حاجة الحمد لله .
- العيال بكرة تكبر ويحتاجوا مصاريف كتيرة ولازم نعمل حسابهم من الآن .
- يا سيدي وقتها يحلها ربنا ... أبقي أبيع ميراثي وأجوزهم .

- طيب وليه ما دام ممكن نتصرف من غير ما نبيع حاجة .
- بس احنا متعودناش نفترق .
- هي أول سنة بس لغاية ما أدبر أموري وأخدكم معايا .
- وحنقعد سنة وما نشوفكش ؟
- دي مش سنة، كلها كام شهر .
- برده كتير .
- عشان خاطر الأولاد كله يهون .

كان واضحاً إصراره على السفر قال له الناظر :

- على فكرة أنت فيه حاجة مضيقاك .
- مفيش حاجة يا حضرة الناظر .
- إصرارك على السفر بيوحي إنك بتهرب من حاجة .
- صدقني مفيش حاجة .
- اللي أنا عارفه عنك إنك حالتك المالية مستريحة وعندك دخل كويس، والمدام بتاعتك عندها دخل كويس، وانت مش محتاج السفر .
- يا حضرة الناظر الأولاد بكره يكبروا وعايزين يتجوزو وعايزين شقق ومصاريف والواحد المفروض يعمل حسابه من الآن .
- مضطر أصدقك ولو إني مش مقتنع .

فعلا أتم أوراقه، ثم سافر . علمت محفوظة بسفره من أختها . . انزوت جانباً في حجرة نومها . . . سالت دمعتها على خدها . . إنها تعلم أنه سافر ليبتعد عنها، وليس حباً في السفر أو العمل بالخارج ... إنه يحب أولاده وزوجته ولا يحب أن يفارقهم . . . لم يفعل ذلك إلا لظرف أقوى منه وهو حبه لها .

قالت لنفسها:

- إن دل هذا على شيء فإنما يدل على معاناته . لقد أصبح عذابه مضاعفاً، عذاب فراقه لزوجته وأولاده، وعذاب فراقه لي ألم أقل إنك إنسان رائع يا شوقي ؟ إني أتعلم منك الإرادة . . . أحاول أن أكون قوية مثلك، وأملك إرادة قوية مثلك . . . إنك فعلاً أستاذي ومعلمي .

***

مرت السنة الأولي ... عاد شوقي إلى أرض الوطن، وزاره أخوه سمير وزوجته سلمي ... وعندما جلس مع أخيه منفرداً وجد به شيئاً من الحزن ... سأله !

- مالك يا سمير ؟
- الحمد لله على كل شيء .

- إيه فيه إيه ؟
- إنت عارف إن نفسي أكون أب، ولسه لغاية الوقتي ربنا ما أذنش.
- ما تشوفوا إيه السبب .
- الغريب إن مفيش مانع عندي ولا عند سلمي .
- يا سيدي تبقي المسألة مسألة وقت، إن شاء الله ربنا عن قريب يرزقكم ما تقلقش .
- أنا بصراحة قلقان، عشان خاطر سلمي بالأكتر .
- يا سيدي ده أمر عادي . . . أنتوا يعني كبرتوا ؟ انتوا لسه عيال .
- يا شوقي إحنا مش صغيرين .
- قلت لك ما دام مفيش مانع عندك ولا عندها، تبقي مسألة وقت، أنا قعدت أنا أكتر من سنة لغاية ما فضيلة حملت.

كانت سميحة حزينة لعدم إنجاب سلمي، مع أنها تعلم أن سلمي وسمير ليس بهما عائق يمنعهما من الإنجاب، وكانت تطمئن ابنتها سلمي بقولها :

- يا بنتي دي حاجة عادية ... وما تقلقوش ... إن شاء الله بكره تزهقوا من العيال .

- أنا شايلة هم سمير، نفسه يكون أب .
- إن شاء الله حيحصل . . . بإذن الله حيحصل .

***

قالت محفوظة لزوجها :

- مش مفروض إن إحنا نروح نسلم على فضيلة وجوزها بعدما جه من السفر ؟
- اللي تشوفيه يا حبيبتي .
- أنا بقول ده واجب أسلم على فضيلة وأنت بالمرة تسلم على الأستاذ شوقي .
- خلاص نروح .

اتصلت محفوظة بأختها سلمي تحادثها وقالت لها ضمن ما قالت:

- على فكرة حنروح أنا وحمدي نسلم على فضيلة وجوزها .
- كلكوا واجب . . . حتروحوا أمتي ؟
- الليلة دي إن شاء الله .

اتصلت سلمي بفضيلة وأخبرتها بالزيارة التي تنويها محفوظة وزوجها حمدي وأخبرت فضيلة زوجها شوقي بما قالته سلمي .

ظلت محفوظة في نشوة متلهفة إلى زيارة شوقي وفي الليل صحبها زوجها حاملة طفلها متوجهان إلى منزل شوقي ... استقبلتهما فضيلة بالترحاب لم يكن شوقي موجوداً سألها حمدي:

- أمال الأستاذ شوقي فين ؟
- جاله تليفون من بعض زمايله في السعودية، وقال إنه مش هيتأخر.

قال حمدي :

- ربنا يسهل ويجيبي عشان نسلم عليه، قبل ما نمشي.

قالت فضيلة :

- يارب .

أحست محفوظة بالإحباط، وتأكدت أنه علم بقدومها وتعمد الخروج عندما علم بقدومهما وأدركت أنه لن يعود إلى المنزل إلا بعد أن تغادره، أما حمدي فكان من الطيبة بحيث صدق أن شوقي قد طلبه بعض زملائه العاملين بالسعودية وانه قد يعود قبل أن يغادر هو وزوجته المنزل .

لم يعد شوقي حالة وجودهما ... بل عاد بعد أن انصرف حمدي وزوجته قالت له فضيلة :

- يا أخي ما يصحش، الناس جايين يسلموا علينا وكان المفروض إنك تكون موجود .
- أعمل إيه، الظروف حكمت إن لازم أروح أشوف مصالحي .
- أنا بقيت قاعدة في نص هدومي .
- ليه ؟ وعلى العموم البركة فيكي .

عندما عاد حمدي ومحفوظة إلى منزلها قال حمدي :

- هو أنت ما قلتيش لفضيلة إن إحنا رايحين لهم ؟
- لأ .
- كان مفروض تديها خبر .
- حقول لها إيه ؟ إحنا جايين نزوركم، حتقول اتفضلوا .
- بس يعني ... كان لازم تديهم خبر عشان لو ما كانش شوقي موجود ما كناش نروح .
- هي جت صدفة احنا نروح وهو مش موجود .
- أدي احنا خلاص رحنا .
- على العموم اللي حصل حصل، وإحنا قضينا واجب .

اتصلت محفوظة بأختها سلمي وقالت لها :

- إحنا لسه جايين من عند فضيلة .

- كويس اللي رحتوا .
- بس للأسف الأستاذ شوقي ما كنش موجود .
- أديكوا قضيتوا واجب .

***

سافر شوقي مصطحباً زوجته وولديه، وعندما حل ميعاد الإجازة . رفض العودة إلى مصر، وفضل أن يقضي الإجازة في السعودية . كان شوقي يراسل أخاه سمير، وأخبره بعدم نيته العودة إلا عندما تنتهي الإعارة ... وأخبر سمير زوجته سلمي بما انتواه أخوه شوقي .قالت سلمي :

- يقعد ثلاث سنين ما يرجعش مصر ؟
- هو عايز كده .
- طيب ليه ؟ إيه يخليه يقضي الأجازة هناك وما يجيش يقضيها هنا ؟
- مش عارف إيه وجهة نظره .
- يمكن بيوفر فلوس السفر؟
- شوقي مش بخيل كمان السفر على حساب السعودية .
- طيب ليه بيعمل كده ؟
- جايز عشان معاه مراته وعياله .

- الله أعلم .

عاش شوقي في الغربة مع زوجته وأولاده، وذات يوم تلقي مكالمة من أخيه سمير، كان صوت سمير يقطر بالسعادة وهو يقول لأخيه :

- الحمد لله يا شوقي ... ربنا أكرمنا وسلمي حامل .
- ألف مبروك يا سمير، مش قلت لك دي مسألة وقت وما تقلقش.
- الحمد لله والشكر لله .

في هذه الأثناء رزق شوقي بمولودة أسماها سلوى . . . ورفض وأن يخبر أخاه بذلك حرصًا على مشاعره، ولكنه عندما أخبره أخوه سمير أن زوجته حامل قال له :

- على فكرة يا سمير، إحنا ربنا رزقنا بسلوى .
- ألف مبروك يا شوقي، أنت يعني ما قلتليش ؟
- ما كانش فيه فرصة .
- على العموم ألف مبروك وتتربي في عزك .

كان اسم سلوى من اختيار شوقي، فقد رجا أن تكون سلواه في غربته عن حبه لمحفوظة .

انتهز شوقي فرصة وجوده بالسعودية، فأدى فريضة الحج هو وزوجته فضيلة ... جلس أمام الكعبة خاشعًا وقال:

- يا رب انت عارف أد ايه بنحب بعض انا ومحفوظة وإنه حب شريف، يا رب ألهمنا الصبر إحنا الإتنين وقوينا ودلنا على الخير.

***

مضت الثلاث سنوات الباقية في الإعارة، وعاد شوقي إلى أرض الوطن عودة نهائية بعد أن أنتهي عقد عمله، وقد أزداد عددهم فرداً بعد أن رزقهم الله بسلوى .

حضر سمير وزوجته لتحية شوقي وزوجته بعد رجوعهما إلى أرض الوطن ... كانت سلمي منتفخة البطن بسبب حملها . . . تعانق الأخان وتعانقت "السلفتان" وجلسوا جميعاً يتحدثون في أمور شتى .

كان شوقي يريد أن يعرف أخبار محفوظة . . قال شوقي مخاطباً سلمي :

- وأختك ازيها وعاملة إيه ؟
- الحمد لله عايشة كويسة مع جوزها .
- والأستاذ شوقي إبنها عامل إيه ؟
- زي العسل ... ولد قمر .
- ما هو لازم يطلع حلو عشان أمه وأبوه .

اكتفي شوقي بهذا القدر من الكلام خوفاً من الإنزلاق في حديثه عن محفوظة ... قال لسلمي :

- فاضلك أد أيه بالسلامة ؟
- إن شاء الله شهر ونص .
- تقومي بالسلامة يارب .

زارت محفوظة أختها سلمى، وعرفت منها أنها زارت "سلفتها" فضيل، وأنها عادت إلى أرض الوطن مع زوجها وأولادها . قالت محفوظة :

- وهم عاملين إيه ؟
- الحمد لله كويسين وزادوا واحدة، خلفوا بنت اسمها سلوى

كان كل همها أن تعرف أخبار شوقي . قالت لأختها :

- و يا ترى الغربة عملت فيهم إيه ؟
- عادي .
- أصلهم قعدوا ثلاث سنين ما يجوش مصر .
- شوقي حج وبقى الحاج شوقي، وفضيلة حجت وبقت الحاجة فضيلة
- كويس أنهم حجوا لأنها فرصة كويسة.
- مش قادرة أفهم وجهة نظر شوقي . . . لكن أهو أخيراً رجع .

- مصيرهم لمصر مهما طال الغياب .
- بس مش عارفة ليه شوقي باين عليه مش مبسوط .

قالت محفوظة بلهفة :

- ليه ؟ إيه اللي لاحظتيه ؟
- مجرد إحساس . . . أحياناً وهو بيتكلم تلاقيه سرح شوية .
- طيب ما ده شيء عادي مع أي واحد .
- مش عارفة يا محفوظة . . . المهم أنهم رجعوا بالسلامة .

قررت محفوظة عدم الذهاب إلى فضيلة لتهنئتهما بالرجوع إلى أرض الوطن، خوفاً من تهرب شوقي من لقائها أو قد يلحظ زوجها حمدي أن شوقي يتعمد عدم مقابلتهما، وتثور في قلبه الشكوك .

الفصل الثالث

تسلم شوقي عمله بالمدرسة ... ومضت الأيام تلو الأيام ... وذات يوم – بعد العمل – ذهب إلى المكان الذي أعتاد أن يلقي فيه محفوظة. جلس وحيداً جعل يستعيد ذكرياته مع محفوظة في هذا المكان الذي شهد حبهما وذكرياتهما .... أجمل وأحلى الذكريات والآن يشعر أنه يريد أن يسترجع هذه الذكريات في هذا المكان ... وجعل يفكر : لقد مضت الآن أكثر من خمس سنوات لم يلق فيها محفوظة، ولم يرها، ولقد جاهد في سبيل ذلك وبذل جهداً خارقاً حتى يتحاشى لقياها .. وعاني ما عاني ولكنه الآن يريد أن يراها، لقد وضعها في الطريق الصحيح، وسارت هي فيه الآن ... وقد قطعت فيه شوطاً كبيراً .. ولكنه الآن يشعر أنه يريد أن يراها ... ليته يستطيع أن يضمها إلى صدره، فقد بلغ به الشوق إليها مبلغه، والحنين إليها يكويه بناره .. ولم يعد قادراً على تحمل أكثر مما أحتمل .

إنها الآن زوجة وأم، وسارت في الطريق الصواب، واستقرت أمورها في حياتها العائلية، والشوق إليها يدفعه إلى لقائها، ولولا بعده عنها ما استطاعت أن تستمر في طريقها السوي، وهي الآن لا تستطيع

الرجوع عن هذا الطريق بعد أن أصبحت زوجة وأماً . . . وهذا ما كان يريده لها، وقد تحقق، ولا خوف الآن من أن يلتقيا... ولكن كيف يلقاها ؟ أيتصل بها هاتفياً ويطلب منها مقابلته ؟ أم يذهب إليها في مقر عملها وينتظر خروجها ويقابلها ؟ إنه يعرف رقم هاتفها، فليتصل بها هاتفياً في الصباح حيث يكون حمدي في مقر عمله، فإذا ما تصادف وكان حمدي موجوداً ورد عليه فسوف يسلم عليه بدعوي السلام، أما إذا لم يكن موجوداً وردت هي فإن الأمر يكون يسيراً وإذا لم تكن موجودة في المنزل وفي مقر عملها سوف يقابلها في مقر العمل .

في صباح اليوم التالي رن جرس هاتف محفوظة كانت موجودة بالمنزل ... رفعت السماعة قائلة :

- ألو .
- الأستاذ حمدي موجود ؟

عرفت صوته؛ فوجئت به... لم تكن تتوقع أن يحادثها .. صاحت:

- شوقي ؟
- أيوه يا محفوظة، حمدي موجود ؟؟
- حمدي مش موجود .

- أنا باطمن قبل ما أتكلم . ازيك يا محفوظة .

قالت مندفعة :

- ازيك يا حبيب قلبي .
- ازيك يا روح روحي .
- أنت اللي عامل أيه ؟
- أنتي عاملة إيه ؟ طمنيني .
- عاملة إيه يا أخي . . حرام عليك . . . انت قلبك إيه ؟
- غصب عني . . . والله العظيم ده كله عشان خاطرك ولمصلحتك.
- يا أخي خلاص بقي كفاية .
- طيب أنا عايز أشوفك
- أنا حاتجنن عشان أشوفك .
- نتقابل بعد الشغل .
- أنا في أجازة لرعاية الطفل .
- طيب حنتقابل إزاى وفين ؟
- بقول لك إيه ؟ . . . ما تيجي هنا .
- هنا فين ؟
- عندي في البيت .

- و جوزك ؟
- تعال الصبح، وهو بيكون في الشغل وما بيرجعش قبل الساعة أربعة.
- بكرة حكون عندك وقبل ما أجي حا اتصل بيكي بالتليفون .
- –في انتظارك .
- مع السلامة يا حبيبتي .
- مع السلامة يا حبيبي .

ظلت طوال الليل تفكر في لحظة لقائها بشوقي، وكيف سيكون شعورها بعد هذه المدة الطويلة . . كما ظل هو ساهراً لم يغمض له جفن منتظراً لحظة اللقاء .في الصباح اتصل بها، قالت له :

- أنا مستنياك، حسيب الباب مفتوح، زق الباب على طول وخش، وأقفل وراك .

ذهب شوقي إلى شقتها، دفع الباب برفق ودخل وأغلق الباب دونه وجدها واقفة في انتظاره ... وقفا كل منهما في مواجهة الآخر ... انهمرت الدموع من عينيها، لم تعرف إن كانت سروراً بلقياه أم كانت عتاباً له على هجره لها ... وجد نفسه دامع العينين أيضاً ... فتح لها ذراعيه دون أن يدري وفتحت له ذراعيها ... لم يتكلما، وإنما ألقى كل منهما نفسه في حضن الآخر .

ووجد نفسه يقبلها في جنون، وأمسكت هي برأسه تقبله في عنف... انستهما فرحة اللقاء نفسيهما .. كان الحرمان، والمدة الطويلة التي افترقا فيها كالنار التي اشتعلت في جسديهما ... عجزا عن الكلام فترة طويلة وهما متعانقان وأخيراً قالت له :

- هنت عليك يا شوقي خمس سنين ما أشوفكش ؟
- غصب عني . . أعمل إيه ؟ كان إيه في أيدي أعمله غير كده ؟
- كنت خلينا زي ما إحنا .
- ما كانش ينفع .
- طيب والوقتي .
- الوقتي خلاص. كل شئ بقى صح .... وانتي ماشية في طريق صح .
- لكن ما نسيتكش .
- و لا أنا نسيتك .

تعانقا مرة أخرى وقالت له :

- بحبك يا شوقي . . أكثر من روحي .
- أنت روح روحي .
- أوعي تسيبني تاني .
- خلاص مش حاسيبك .

جلسا ملتصقين ... هزها من كتفها قائلاً :

- خلاص يا محفوظة بقيتي زوجة وأم .
- البركة في توجيهاتك .
- على فكرة أنت اتغيرتي .
- للأحسن ولا للأوحش ؟
- يعني بقيتي حلوة قوى .
- طيب وهو أنا الأول ما كنتش حلوة ؟
- لأ ... كنت الأول فتاة حلوة جميلة... الوقتي بقيتي امرأة ناضجة .. أنوثة متفجرة ...

قالت ضاحكة :

- إيه ده كله ... بتتغزل فيَّ ؟ أول مرة أشوفك بتبص لجسمي .
- شيء طبيعي ... أنا في الأول والآخر إنسان .
- طيب ما أنت كمان اتغيرت .
- أزاي ؟
- كنت الأول شاب ... الوقتي بقيت راجل كامل .

ضحك الأثنان ... قالت له :

- على فكرة . . . أنا دلوقتي فهمت كلامك .

- اللي هو إيه ؟
- الروح والحياة .
- أزاي ؟
- عرفت إن حمدي هو حياتي ... إنما أنت روحي ... ما كنتش الأول قادرة أفهم المعني اللي انت كنت بتقصده لغاية ما عشت فيه .
- لأ ... دا فيه حاجة ثانية .
- إيه هي ؟
- أنتي الوقتي روح الروح وفضيلة حياة الحياة .
- يا عيني عليك يا حبيبي . . . أنت مش معقول، يا أخي هو أنا بحبك وبموت فيك من شوية ؟

نهضت واقفة . . قال لها :

- رايحة فين ؟
- عايزة أوريك صورة شوقي ابني .
- وهو فين ؟
- في المدرسة .
- بيرجع إمتي ؟
- الساعة اتنين ونصف، لسه بدري .

- سلمي بتقول ابنك حلو قوي .
- كان ممكن يكون أبنك .
- كان ...

أحضرت بروازاً فيه صورة أبنها شوقي، تناول البرواز وطبع قبلة على الصورة. وضعت الصورة في مكانها وعادت إليه، وجلست بجانبه طوقها بذراعيه . طوقته أيضاً بذراعيها، ظل يتحسس جسدها وهو يقبلها، وكانت تتحسس جسده ... سرت في جسديهما النشوة، وبدأت الرغبة تتملكهما ... بعد أن أحست برغبته ورغبتها قالت :

- إيه يا أستاذ شوقي ؟ ايه يا عم الحاج ؟
- مش عارف يا محفوظة . . أول مرة . .
- أول مرة إيه يا راجل ؟
- أنت حاسة بى ؟
- زي ما إنت حاسس بي .
- وإيه رأيك ؟
- اللي تشوفه يا حبيبي .
- طبعاً لا يا حبيبتي . . . كده حنغلط .

دفعها عنه برفق وهو يقول :

- مش عايزين نغلط ... تبقي خيان، أنت حتخوني جوزك وأنا حخون مراتي .
- مستحيل ده يحصل .
- خلاص خلينا زي ما إحنا . . . حبنا طاهر وعفيف .
- حنشوف بعض ازاي .
- أنتي عارفة المكان إياه، يوم الاثنين عندي نص يوم، ممكن نتقابل هناك .
- ماشي .
- أمشي بقي أحسن حد ييجي.

طوقا بعضهما، وانهمرا في قبلات سريعة، ثم انصرف شوقي متعجلاً أحسا بنشوة ما بعدها نشوة، وشعرا بسعادة لا حدود لها، قالت لنفسها: أخيراً جه شوقي .. أخيراً شفته وخدني في حضنه .. كفاية على كده ... ده بالنسبة لي منتهى السعادة . الدنيا كلها ملكي.. عايزة إيه أكثر من كده .

كنت عارفة أنه لازم يرجع وأهو رجع وإحساسي كان صح .. صحيح المدة طالت لكن في النهاية رجع .

عـاد شـوقي إلى منزلـه، وأختلـي بنفسـه سـرح بخـاطره، أنـه الآن وضـعها في الطريـق الصـحيح، ولقاهـا بعـد فـراق طويـل، وضـمها إلى صدره، وكاد يلتهمها وهـو يقبلـها ... إن فراقهمـا هـذه المـدة الطويلـة جعلهما لا يشـعران بمـا يفعلانـه، ولـو لا عقلـهما وضـميرهما لوقعـا في الخطأ .

لم يكن في ذهنها قبـل ان يلتقيـا ان يكـون اللقـاء هكـذا، وإنمـا تم اللقاء على هـذه الصـورة دون وعـي منهمـا بـل سـاقتهما عاطفتهمـا إلى التحاضن .

عندما حضر زوجها من عمله، قابلته هاشـة باشـة، كانـت تتخيـل فيه شوقي، ولولا أنها كانت من الـذكاء بمكـان، لأخطـأت في اسمـه، ولكنها لفرط ذكائها أسمت إبنها باسـم شـوقي، حتـى إذا أخطـأت لا يلحظ زوجها .. أكلت بنهم، وكانت تتنقل في أرجاء الشقة كالفراشـة، حتى أن زوجها قال لها :

- أنا شايفك سعيدة قوي، إيه الحكاية فرحيني معاكي ؟
- البركة في شوقي حبيبي .

لم يلحظ حمدي شيئاً، وإنما ظن أن أبنها شوقي هو سبب سعادتها الزائدة، فقال لها وهو حسن النية :

- ربنا يخليه لنا .

في يوم الاثنين التالي بعد أن خرج زوجها إلى عمله، ذهبت بابنها إلى أختها وكانت قد منعته عن الذهاب إلى المدرسة في هذا اليوم، وقالت لها :

- خلي شوقي عندك لغاية ما أروح مشوار صغير وأجي .
- حتروحي فين ؟
- عندي مشوار حا اعمله وأرجع .
- بس ما تتأخريش .
- مش هتأخر .

ذهبت إلى لقاء شوقي، وجدته في انتظارها . جلسا كل منهما في مواجهة الآخر . أمسك يديها ونظر إلى عينيها . . وقال لها :

- بحبك .

ردت عليه :-

- بموت فيك .
- مش هزهق، بحبك، بحبك، بحبك .
- و انا كمان بموت فيك، بموت فيك، بموت فيك .
- كنا حنغلط يا محفوظة .

- الحمد لله اللي مسكنا نفسنا .
- وإيه نهاية الحرمان ده ؟
- مش عارفة ... لكن إيه اللي بأيدينا نعمله ؟ مفيش قدامنا غير الصبر.
- تفتكري الصبر ده له آخر ؟
- عندي إحساس إن حييجي اليوم اللي يجمعنا فيه بيت واحد .
- حييجي ازاي وأنت معاكي حمدي وابنك وأنا معايا فضيلة واولادها
- بلاش إحساس . . . خليها أمنية .
- كفاية علينا اللي إحنا فيه ... مش طمعانين من الدنيا أكثر من كده.
- أوعي تسيبني تاني يا شوقي .
- مش ممكن ... خلاص ... اللي أنا عايزه اتحقق .
- اللي هو إيه ؟
- إنك تكوني مستقرة في حياتك الزوجية .
- البركة فيك . . . انت إنسان مالوش مثال .
- بطلي بقي، أحسن باين على حا أتغر .
- مين يصدق يا شوقي إن علاقتنا علاقة شريفة رغم الحب ده كله ؟
- أكيد فيه زينا كتير .
- مش ممكن ... ده شيء نادر . هل حد يصدق كده ؟

- صدقيني الدنيا فيها كتير .
- ربنا يخليك لي .
- وربنا يخليكي لي عشان أفضل أحبك على طول .... طول عمري
- يلا بينا عشان شوقي عند سلمي، ومش عايزة أتأخر عليه .

نهضا وانصرفا عادت البسمة الحقيقية إليها، وأحست أنها تمتلك الدنيا وأن السعادة تغمرها وتفيض، ولا تطلب أكثر مما هي فيه.

الفصل الرابع

استمرت علاقتهما على هذا المنوال ... إذا سمحت لهما الفرصة التقيا أو تهافتا ... رضيا بقسمتهما هذه ولم يطمعا في أكثر من ذلك .

مرت الأيام ... رزقت محفوظة بمولود ثان . قال لها حمدي :

- حتسميه إيه ؟
- سميه انت المرة دي .
- حسميه محمود على اسم بابا .

أصبحت محفوظة أماً لاثنين ... ولم يفارقها حب شوقي، كما أن حبه لها لم يتأثر . ومضت عدة سنوات، أحيلت أمها إلى المعاش والتحق أخوها أحمد بكلية الطب ... كما أصبحت سلمي أماً لاثنين: ولد وبنت .

ذات يوم دعت سميحة بنتيها وزوجيهما وأولادهما لقضاء يوم لديها تستمتع فيه بأحفادها .. وقد بدا عليها أثر السنين ... ورغم هذا الأثر فإنها ما زالت تتمتع بمسحة من الجمال .

كانت سميحة في غاية السعادة وهي بين أولادها وأحفادها، وأحست أنها أدت ما عليها قبل بنتيها ولم يبق إلا أبنها أحمد، وقد عرف طريقه إلى كلية الطب .

يوما قال حمدي لمحفوظة :

- حسافر أسبوع مأمورية .
- حتسافر فين ؟
- رايح مع اثنين مهندسين إسكندرية .
- و حتقعدوا فين هناك ؟
- حنقعد في استراحة الشركة .
- وحتسافروا إمتي ؟
- يوم الجمعة أخر النهار، وحنرجع يوم الخميس بالليل .
- حتسافروا أزاي ؟
- معانا عربية الشركة .
- تروح وتيجي بالسلامة .

سافر حمدي مع زميليه . . . اتصلت محفوظة بشوقي وأخبرته أن حمدي سافر ويمكنه أن يلقاها في المنزل . حددت معه الميعاد وأودعت ولديها لدي أمها... وفي الميعاد المتفق عليه ذهب شوقي إلى شقة

محفوظة .. دفع الباب برفق فانفتح، دخل بسرعة وأغلق الباب خلفه... وجدها في انتظاره واقفة في مدخل الشقة ... كانت ترتدي قميصاً شفافاً ... تمثال رائع بديع التكوين ... يشع ضياء ... صورة رائعة للأنثى المتفجرة أنوثة ... وقف شوقي في مواجهتها ... لم يتقدم نحوها ... ظل ينظر إليها كما لو كان يراها لأول مرة ... نظرت إليه بابتسامةَ تحي الموتى ... أخيراً فتح لها ذراعيه دون أن يدري، وفتحت له ذراعيها دون أن تدري، ارتمت في حضنه، طوقها بذراعيه، ولفت هي ذراعيها حول خصره ... ظل يمطرها بوابل من القبلات في جنون، يكاد يلتهمها ... أما هي فقد ضغطت على خصره بشدة ووضعت شفتيها في شفتيه، وأغمضت عينيها، وتاهت في بحر حبه .

كان واضحاً أن الرغبة في شوقي استبدت بها، ولم يكن منظرها حينما استقبلته في حسبانه... التهب جسداهما ... أحست بجسده كما لو كان ملتهباً، وأحس بجسدها كما لو كان مشتعلاً بالنار ... استبدت بهما الرغبة ... أحست به وأحس بها ... وقعا على اريكةَ بالصالة ... كما لو كانت الرغبة قد خدرتهما .

فجأة أفاق شوقي من نشوته وقال :

- فضيلة

صاحت هي :

- حمدي

فك كل منهما ذراعيه عن الآخر، وجلسا ... أفاقا من سكرة النشوة، انتفض جسدها بشدة وبكت ... أما شوقي فقد دمعت عيناه ونظر كل منهما للآخر كما لو كانا يعتذر ان كل منهما للآخر .

قال شوقي :

- إيه اللي كنا حنعمله ده ؟
- مش عارفة يا شوقي .
- موافقة عليه ؟
- لا . . . مع إني عايزة .
- طيب ما أنا كمان عايز، لكن ما أقدرش .
- والحل يا شوقي ؟
- مفيش حل.. نفضل زي ما إحنا .
- مش حرام نحرم نفسنا وإحنا بنحب بعض الحب ده كله ؟
- لأ مش حرام... أنت معاكي حمدي وأنا معايا فضيلة بيعوضونا .
- بس أنا ملكك من قبل ما أتجوز حمدي .

- لكن خلاص اتجوزتيه، بقيتي ملكه هو مش ملكي أنا .
- بس أنا حاسة إنك لك حق في .
- أنت كلك ملكي، بس روحك مش جسمك .
- أنا كلي ملكك؛ روحي وحياتي وجسمي
- لأ، روحك بس اللي هي ملكي، وإنما جسمك وحياتك دول ملك حمدي.
- آه يا عذابي . . . حتى الراجل اللي بحبه محرومة منه .
- إحنا مش محرومين . . . كفاية علينا متعتنا وإحنا سوا مع بعض .
- يا أخي أنت بتفكر بطريقة عجيبة . . مين يصدق اللي بيحصل ده؟
- العقل قبل الرغبة يا حياتي . . . وإحنا اتفقنا من زمان إن إحنا ما نغلطش .

هدأت الرغبة فيهما بل كادت تتلاشي وقالت له :

- مش عارفة أقول لك إيه ؟ إنت إنسان رائع . . . يا ناس هاتولي حد في الدنيا زي كده .
- صدقيني فيه كتير .
- يا حياتي إنت بتعلمني حاجات ... أنا باحسدك يا فضيلة... يا بختك مليون يا بختك .

- ما هو كمان حمدي يا بخته . . . مليون بخته .
- يعني لو كنا اتجوزنا مكانش أحسن ؟
- ما كانش ينفع زي ما قلت لك قبل كده .
- حتقول لي ضرة وجوز الاثنين . . .مش أحسن من دلوقتي وإحنا مع بعض حارمين نفسنا .
- صدقيني دلوقتي أحسن .
- يا أعصابك يا أخي . . . أنا كمان أعصابي بتجمد والبركة فيك.
- قومي أعملي لنا شاي .
- على عيني .

نهضت، ودخلت المطبخ، وأعدت كوبين من الشاي، وأحضرتهما. جلست بجواره ملتصقة به. وضع يده على كتفها وقال:

- الحمد لله اللي إحنا مسكنا نفسنا أخر لحظة .
- الحمد لله فعلاً عندك حق، مش بقول لك أنت دايماً صح .
- حمدي حيرجع إمتي ؟
- يوم الخميس آخر النهار .
- يعني حنشوف بعض تاني ؟
- طبعاً . . هو فيه فرصة أحسن من دي .

- أجي لك بعد بكرة .
- لو على عايزاك كل يوم .
- وأنا كما عايزك كل ثانية .

انتهيا من شرب الشاي ... كانت تجلس بجواره ملتصقة به، وضع كل منهما يده على كتف الآخر ... أدار كل منهما وجهه للآخر، والتقت شفتاهما مره أخري، واستدار الجسدان، وتعانقا . قال لها:

- بحبك ... أنت روح روحي اللي عايش بيها .
- أنت كلك في، دايب في دمي .
- بحبك . . مش عايز أقول كلمة ثانية غير دي .

صمت الاثنان، وظلا يرشفان رحيق حبها ... بعد فترة قال لها:

- مش قادر استحمل السعادة دي كلها، حرام عليكي . . أنت كده ظالماني؟
- ليه يا حبيبي ؟
- ظالم الحسن، شهي الكبرياء، عبق السحر كأنفاس الربي، حالم الطرف كأحلام المساء،

قالت هي معلقة :

- ياه ... إيه الحب ده كله، أمل حياتي، يا حب غالي ما ينتهيش، يا أحلي غنوة، سمعها قلبي وما تتنسيش خد عمري كله وسبني احلم؛ خليني جنبك في حضن قلبك ياريت زماني ما يصحنيش .
- كفاية كده يا حبيبتي، أقوم عشان أمشي .
- خلاص يا حبيبي . . . عايز تمشي .
- أنا مش عايز أمشي . . . إنما لازم أمشي .
- اللي تشوفه يا حبيبي .

قبلها قبلة طويلة . . . ثم أنصرف . رقدت على سريرها ... كانت تستمتع بلذة اللقاء التي ما زالت تشعر بها، وقالت لنفسها: أي إرادة يتمتع بها هذا الرجل ؟ كيف استطاع أن يدرك نفسه ويدركها قبل أن يقعا في بئر الخطأ إنها تحمد الله على أنها لم تخطء، وأنه استطاع أن يوقفها قبل أن ينزلقا إلى الهاوية ... يا تري لو كانا أخطآ كيف يكون شعورها الآن بعد الخطأ ؟ إنها فعلاً كما قالت له تريده ولكنها لا تستطيع ... الوازع الديني والأخلاقي يمنعانها مع أنها كانت في حالة من الانهيار تدفعها للوقوع في الخطأ ولا تسمح لها بتذكر الوازع الديني والأخلاقي، لو لا أن نبهها شوقي عندما قال : فضيلة . ووجدت نفسها تقول حمدي .

لقد زاد حبها لشوقي أضعاف ما كانت تشعر به قبلاً، فمن ذا الذي يجد رجلاً في مثل هذه الأخلاق والمثل ولا يحبه ؟ من ذا الذي يفرط في مثل هذا النموذج الرائع للإنسان الشريف ؟

و هذا هو الفرق بينه وبين غيره من الرجال إن الكل ينظر إليها ويشتهيها، أما شوقي فإنه يعف نفسه عنها، رغم أنه يتمناها وتتناه .

عاد شوقي إلى منزله ... رقد على سريره، وجعل يستعيد ما حدث؟ إنه يحمد الله على انه أدرك نفسه قبل السقوط، بدا أنها كانت على استعداد للسقوط . بدا ذلك عندما قابلته بقميص شفاف ... كانت كمن تدعوه للخطأ ... وسأل نفسه أيكون هذا حقاً هو مرادها؟ إنه لا يعتقد أنه كان مرادها وإنما كان ذلك هو وضعها الطبيعي في منزلها مع زوجها ... وهي بالطبع تحبه ولا تعتبره إنساناً غريباً عنها وتخشاه ... فهو بالنسبة لها كحمدي بل أكثر ... وقد كان هذا فعلاً هو تصرفها واعتقادها .

اتصلت بأمها وطلبت منها أن يأتي أخوها أحمد بولديها لأنها متعبة أما شوقي فقد نادي زوجته . حضرت . قال لها :

- تعالي نامي جنبي .

أدخلت أولادها حجرتهم، ثم ذهبت إليه ... رقدت بجواره، طوقها بذراعيه وتذكر محفوظة، وتخيلها في حضنه وبين ذراعيه..... صب فيها كل شوقه ولهفته ورغبته، كان جمال زوجته يعوضه عن رغبته في محفوظة، إن جمال زوجته كان دواء ناجعًا لحبه لمحفوظة، ويجعله في حالة توازن.

في الموعد الثاني ذهب إليها ... استقبلته فاتحة ذراعيها ... طوق خصرها، طوقت رقبته، وراحا في عناق طويل دون أن يتكلما ... ظل يرشف رحيق شفتيها ... كما رشفت هي رحيق شفتيه ... كانا لا يودان الكلام حتى لا تفترق شفتاهما . بعد فترة جلسا على أريكة بصالة المنزل، التصقت به، وضع يده على كتفها وضمها إليه بشدة... رفعت وجهها إليه، نظر إليها... ظلا صامتين والحب يتساقط من عينيهما، أخيراً قالت:

- أزيك يا حبيبي .
- أزيك يا حبيبتي .
- وحشتني .
- وأنت اكتر .

- من أول أمبارح للنهاردة زي ما يكون سنة .
- أنا بالنسبة لي عمر طويل . . . كنت بأعد الثواني مش الساعات.
- لو أفضل طول عمري أقول بحبك مش كفاية .
- يا حياة قلبي . . . ربنا يخليكي لي وما انحرمش من حبك .

وراحا في عناق طويل . . . أفاقا بعد فترة. قالت له :

- تحب تشرب شاي ؟
- يا ريت .
- عيني يا حبيبي .

قامت ودخلت المطبخ، وأعدت الشاي وعادت به ... قال لها وهما يتناولان الشاي :

- مش ملاحظة إن إحنا أتغيرنا .
- إزاي ؟
- قبل ما أسافر كنت ما بحاولش معاكي أي حاجة ... حاجة واحدة عملتها زمان . . . بوستك قبل ما أسيبك .
- صح .
- تعالي شوفي النهاردة بنعمل إيه ؟ لازقين في بعض ومش عايزين نسيب بعض .

- فعلاً اتغيرنا يا شوقي .
- يا تري للأحسن ولا للأوحش ؟
- طبعاً للأحسن .
- يعني الوقتي أحسن من الأول ؟
- أكيد .
- ليه ؟
- الوقتي دايبين في بعض... الأول كنا روح بس، إنما الوقتي روح وجسد.
- طب ما إحنا محرومين .
- لأ مش محرومين .
- إزاي بقي ؟
- إحنا الوقتي ممكن نعمل أي حاجة إحنا عايزينها ... لكن إحنا مش عاوزين يبقي مش محرومين... وبعدين يا حبيبي إحنا عايزين أكتر من كده إيه ؟ ده كفاية قوى.
- يا حبيبتي مش كفاية، أنا لو أكلتك مش حاشبع منك .

ضحكت وقالت :

- ياباي أكلة لحوم البشر

- يعني أنت الوقتي شبعانة ؟
- طبعاً شبعانة، أي حاجة منك تشبعني .
- أنا بقي مش شبعان منك ... جعان منك على طول .

ضحكت وقالت :

- خلاص كلني بقي
- يا بختك شبعتي منى خلاص .
- لا يا حبيبي، أنا ما أشبعش منك ؟ إنما راضية بالقليل، أعمل إيه ؟ مفيش أكتر من كده نقدر نديه لبعض .

تنهد قائلاً :

- صحيح مافيش أكثر من كده نقدر نديه لبعض.
- طيب وآخرتها ؟
- كل شيء وله أخر .

قالت مؤكدة :

- أكيد كل شيء له أخر .
- بقول لك إيه ؟ إيه أخبار حمدي معاكي ؟
- الحمد لله كويس .
- عاملة إيه معاه ؟

- حمدي إنسان طيب ومخلص، وبيحبني، وبيعاملني أحسن معاملة.
- الحمد لله ... كده طمنتيني .
- كلامك حقيقي ... هو الحياة وأنت الروح .... ما كنتش الأول قادرة استوعب كلامك ... الوقت فهمت انت تقصد إيه لأني عايشة فيه.
- عارفة حالياً أنت بالنسبة لي إيه ؟
- روحك .
- لأ ... روح روحي .
- طيب وفضيلة ؟
- حياة حياتي .
- ليه التغير ده ؟
- ما تنسيش إن احنا كبرنا كتير، واتغيرنا كتير .
- صحيح، لك حق .
- أقوم بقي عشان أمشي .
- في رعاية الله يا حبيبي .

عانقها ... وانصرف .

الفصل الخامس

مضت الأيام ... شعرت محفوظة بأعراض الحمل .. كان حمدي سعيداً قال لها :

- نفسي المرة دي تكون بنت شبهك .
- كله بتاع ربنا .

أتمت شهور الحمل.. ووضعتها أنثي جميلة، أسماها أبوها "الشيماء" وأصبحت محفوظة أما لثلاثة أبناء .. ولدين وبنت واحدة .. قالت لزوجها :

- الحمد لله على كده وكفاية بقي .
- طبعاً يا حبيبتي كفاية عشان صحتك .
- ربنا يخليهم ويبارك فيهم .

وتمضي الأيام... ذات يوم كانت في المطبخ تعد طعام الغذاء، وأولادها يملأون المنزل ضجيجاً عندما سمعت جرس الباب . فتحت الباب فإذا بها تجد زوجها حمدي بين اثنين من زملائه بالعمل يسندانه صرخت قائلة :

- فيه إيه يا حمدي ؟

قال أحد الرجلين:

- ما تخافيش يا مدام .. الباشمهندس حمدي بخير .

قال الرجل الآخر :

- حاجة بسيطة ... السكر علي عليه شوية، جبنا له دكتور الشركة، والحمد لله بقي كويس .

دخلا به وأجلساه على كرسي بالصالة . قال حمدي لزميليه:

- اتفضلوا استريحوا .
- متشكرين نستأذن .
- مش معقول لازم تشربوا حاجة .
- مرة ثانية إن شاء الله .

انصرف الرجلان، وجاء الأولاد يرحبون بأبيهم. جلست هي بجانبه وقالت:

- إيه يا حمدي اللي حصل ؟
- شعرت بدوخة ومادريتش بنفسي، زمايلي طلبوا دكتور الشركة جه وفوّقني وقال دي غيبوبة سكر ولازم أمشي على علاج السكر .
- وهو أنت عندك السكر؟
- ما أعرفش غير النهارده .

- وانت دلوقتي عامل إيه ؟
- الحمد لله كويس .
- خلاص بقي .. إمشي على علاج السكر .
- إن شاء الله .

وتمضي الأيام ... كانت تلتقي بشوقي كلما سمحت لها الظروف .. فقد ازدادت أعباء حياتها الزوجية بثلاثة أبناء وزوج مريض بالسكر ... كانت متعتها وراحتها يوم أن تلتقي بشوقي ... تنسي همومها ومتاعبها .. قالت له يوماً وهما جالسان في مكانهما المعتاد .

- الوقت الوحيد اللي بأحس فيه بالراحة وأنسي همومي ومشاكلي يوم ما أكون معاك ... بأنسي كل شيء .
- هي دي الحياة . لازم نعيشها بكل ما فيها .
- أنت الوحيد اللي بتنسيني مشاكلي .. مش عارفة لولاك كنت عملت إيه؟
- كنتي حتتصرفي .
- أتصرف ازاي من غيرك ؟
- ما أنت معاكي حمدي .

- حمدي مش زيك .
- حمدي إنسان ذكي ومش غبي .
- برده مش زيك .
- عشان بس بتحبيني .
- صدقني هي دي الحقيقة ... هو إنسان كويس ومش وحش، وممتاز كمان... لكن مش زيك .. جايز زي انت ما قلت عشان بحبك .
- يا حبيبتي متفكريش في حاجة تانية وأنا جنبك .
- ربنا يخليك لي على طول وما انحرمش من حبك .

كانت تعتقد أن شوقي هو سندها الرئيسي في الحياة بعد الله، وقبل أي إنسان آخر ... حتى حمدي .

***

مرضت أمها سميحة هانم، ولزمت الفراش ... تجمع حولها بنتاها وزوجاهما وأبنها أحمد ... لم تمكث طويلاً في مرضها ... ثم ماتت .

عم الحزن الأسرة كلها ... حزنوا عليها حزناً شديداً، فقد كانت لزوجي بنتيها حماة فاضلة ... أما أولادها فهم الذين قامت بتربيتهم بعد وفاة أبيهم، ورفضت الزواج مع أنها كانت صغيرة السن وجميلة، ولم تنل حظها من الحياة كثيراً .

كانت صدمة فقدها لأمها عنيفة عليها وعلى أختها سلمى وأخيها أحمد، لأنهم لم يروا أباهم كثيراً فقد كانوا صغاراً لم يبلغوا مبلغ الوعي الكامل، أما أمهم فكانت هي كل دنياهم ... ولم يجدوا أمامهم سواها يحمل همهم ولذلك كانت أمهم هي الأم والأب والعم والخال ولهذا كانت فجيعتهم فيها قاسية . مكثوا في منزل أمهم أسبوعاً، ثم بدأوا يفكرون ... محفوظة متزوجة ولديها زوجها وأطفالها، وكذلك أختها سلمى ... أما شقيقها أحمد ... أصبح هو الأمر الذي يؤرقهم . فهو يحتاج لمن يرعاه ويدبر له شئونه، فهو طالب في كلية الطب، وهي كلية تحتاج لمجهود ووقت كثير، ولابد لهم أن يجدوا حلاً لمشكلته .

اجتمعت الأسرة للنظر في أمر أحمد ... كيف سيعيش بعد وفاة أمه؟ اقترحوا عليه أن يقيم مع أي منهما محفوظة أو سلمى، رفض أحمد... قالت له أخته محفوظة :

- يا حبيبي تعال عيش معايا .
- لأ يا محفوظة .
- طيب عيش مع سلمى .
- برده لأ .
- أزاي حتقعد لوحدك .

- عادي .
- مين حيخدمك ويشوف طلباتك .
- المرحومة معلماني كل حاجة ... زي ما يكون قلبها كان حاسس أنها حتموت وتسيبني ... عشان كده كانت بتخليني أساعدها في كل حاجة بنعملها في البيت .
- بس انت الوقتي عندك كلية الطب ودي عايزة وقت كبير يا أحمد .
- أنا أقدر أنظم وقتي .
- مش عايزين حاجة تشغلك عن الكلية .
- ما تخافوش .

قال حمدي :

- أنا عندي رأي ...

قال سمير :

- قوله .
- محفوظة تيجي له يوم في الأسبوع ولا يومين تعمل له فيهم كل حاجة، وسلمي نفس الشيء الأسبوع الثاني .
- موافقين .

وبدأت الأحداث الحزينة تتوالي عليهم ... فلم يمر شهر واحد إلا وتوفيت الست ماجدة والدة كل من شوقي وسمير، وانتقلت الأحزان من منزل أمها إلى منزل حبيبها شوقي .

بدأت الأحداث الحزينة تتوالي عليهم، فلم يمر شهر أخر إلا وقد توفي والد حمدي، وجدت نفسها فجأة في محيط من الأحزان، ولم يكن أمامها من يسري عنها سوي شوقي، عجبت كيف تجمعت الأحزان هكذا، وتوالت سريعًا وراء بعضها، ولم يكن بينهم فاصل كبير ليخفف من وطأتها.

كما كان هو الآخر في أشد الاحتياج إليها لتسري عنه – صحيح أن زوجته فضيلة كانت تواسيه وتخفف عنه الأحزان، إلا أن احتياجه لمحفوظة له شأن آخر ... إنها تحتاج من يواسيها في فقد أمها وهو يحتاج من يواسيه في فقد أمه ولهذا أصبح كل منهما في أشد الحاجة إلى الآخر ومواساته. وأصبح اللقاء بينهما بالنسبة لها ليس سهل المنال بعد أن ماتت الأم التي كانت تودع أطفالها لديها عندما كانت تريد أن تقابله، كما أن عبء ثلاثة أبناء ليس أمراً سهلاً .

بعد أن هدأت الأحزان، وذهب كل إلى عمله، ذهبت هي إلى أختها سلمى وأودعت لديها أولادها لحين عودتها لدي شوقي، وأفهمتها أنها بصدد شراء بعض المتطلبات .

اتصلت بشوقي وطلبت منه أن يأتيها في مكانهما المعهود حضر إليها ولاحظ أن الحزن زحف على محياها الجميل، فأضاف عليها وقارًا، فإنه الحزن قد يضيف إلى بعض الناس وقارًا رغم أنه حزن، قال لها:

- البقاء لله وحده . . وهكذا الحياة .
- طيب ما انت كمان البقية في حياتك . . . ما انت كمان مجروح .
- حنعمل إيه ؟ دي إرادة ربنا وبشر الصابرين الذين إذا إصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون .
- اه يا شوقي الحياة أحياناً بتبقي قاسية قوى .
- ده أمر الحياة، ده شأنها، لا هي حلوة على طول ولا هي قاسية على طول . واحد يموت وواحد يتولد، واحد يمرض، واحد يشفي، واحد يفرح وواحد يحزن، وبعدين تلف تاني وتجيب ده مطرح ده مش ممكن الحياة تسير على وتيرة واحدة.

- انت إنسان قوى، وتقدر تقابل المصاعب، بس أنا مش زيك صحيح انت علمتني إزاى أكون إنسانة قوية .... بس يا شوقي .
- بس إيه .
- الفراق صعب .
- أنا معاكي ... لكن ربنا خلق الصبر عشان كده ... وبعدين دي سنة الكون.
- مش متصورة إن ماما مش موجودة .
- شوفي نفسك، كنتي فرد واحد، وبعدين اتجوزتي بقيتوا اثنين، وبعدين خلفتوا بقيتوا خمسة ... لازم في المقابل حد ينقص ... ومفيش حد مخلد ... كله في النهاية زائل .
- صحيح يا شوقي ... كله في النهاية زائل .
- محفوظة القوية الشجاعة ما تنهزمش .
- المصيبة كبيرة .
- و أنت أكبر منها ... مفيش حد في أيده حاجة يعملها ... خليكي كبيرة زي ما أنتي أتعودي تقابلي المصاعب بقلب جامد زي ما عودتك... الحياة لازم تمشي سواء زعلتي أو فرحتي ... ماشية

ماشية... الكون مش حيقف عشان خاطر حد، والخسران هو اللي يقف وما يمشيش مع الحياة .

أحست أنها يجب أن تواسيه أيضاً كما واساها هزت رأسها قائلة:

- صحيح يا شوقي ... الحياة ما بتقفش ... أنت كمان البقية في حياتك.
- حياتك الباقية .
- أنا عرفاك طول عمرك قوي .
- أحمد ربنا .
- ربنا يخليك ويبارك فيك، والحمد لله والدتك سابتكم رجاله كبار ومش محتاجين حاجة من حد.
- المسألة مش مسألة احتياج، مسألة وجود .
- ما انت لسه قايل لي إن كل حي مصيره للزوال .
- طبيعي .
- يبقي البركة فيك ويا رب عمرك يطول ميت سنة .
- و يخليكي لي .
- وما انحرمش منك، تفضل جنبي وماتخلنيش أشيل هم .
- أيوه كده صح... محفوظة حبيبتي، الكبيرة الجامدة، اللي ما تنهزمش.

- كلامك ريحني .
- طب ما أنت كمان كلامك ريحني .
- كان لازم نتكلم ونريح بعض .
- لأنه كلام العقل، ولازم تعرفي إن إحنا بدأنا مرحلة جديدة من عمرنا بحيث إن إحنا نكون مؤهلين إن إحنا نقابل مشاكل ومصاعب، مرحلة الشباب عدت خلاص.
- الظاهر إن إحنا فعلاً بدأنا مرحلة المتاعب، اللي لازم نتغير ونتعود إزاي نقابلها .
- أيوه أدي محفوظة، تربيتي، فعلاً إحنا كبرنا، ونقدر نواجه الحياة ومانقفش قدامها سلبيين .
- كلامك ريحني قوى ... أرجوك يا شوقي خليك جنبي على طول.
- أنا معاكي من غير ما تقولي .
- ربنا يخليك لي .

مضت الأيام ... خصصا يوم الاثنين من كل أسبوع يتقابلان فيه... تحكي له أحداث الأسبوع التي مرت بها ويجد حلولاً للمشاكل التي قد تواجهها .

كانت تنتظر لقاء يوم الاثنين بلهفه وشوق، وتسمع فيه حلًا للمشاكل التي قد تواجهها، كما أنه كان في لهفة وشوق لهذا اللقاء حتى يستمتع بمرأى حبيبته.

بدأت تعطف على حمدي ... عشرته معها وسلوكه المهذب جعلها تحبه، فضلاً عن كونه زوجها ووالد أبنائها ... أصبحت أكثر اهتماماً به رغم أنها أم لثلاثة أبناء . وأحس هو بذلك، فازداد تعلقاً بها، كما يتعلق الطفل الصغير بأمه ... أحست بسعادة واستقرار الأسرة، وبالجو الهادئ الذي لا يعكره إلا أحداث القدر .

وحمدت الله على نعمته التي أنعمها عليها، زوج طيب وعطوف، وحبيب تذوب فيه ويذوب فيها، وبدأت تعي تمامًا الروح والحياة.

في لقائهما المعتاد مع شوقي حكت له شعورها تجاه حمدي، قال باسماً :

- ما هو ده الشيء الطبيعي اللي لازم يحصل واللي كنت أنا عايزه .
- يعني كنت عايزني أحب حمدي ؟
- طبعاً تحبيه ... مش جوزك .
- وما تتضايقش ؟

- لأ، لازم تحبيه عشان تعيشي حياة أسرية سعيدة مستقرة، وزي ما أنا عايش حياة أسرية سعيدة .
- ومش خايف حبي لحمدي يأثر على حبي لك ؟
- مش ممكن ... هو جوزك وأنا حبيبك ... حبك له غير حبك لي .
- صحيح زي أنت ما قلت ... هو الحياة وأنت الروح .
- الوقتي قدرتي تعرفي صح الحياة والروح .
- طبعاً زي ما أنا روحك وفضيلة حياتك .
- لا؛ انت الوقتي روح روحي ؛ وفضيلة حياة حياتي
- ليه ؟
- العشرة الطويلة بيني وبينها، والأولاد اللي بقوا عيلة، ومعاملتها الحلوة وحبها خلوها حياة حياتي .

قالت بشئ من الغيرة:

- وأنا ؟
- أنتي بقيتي روح روحي ... روح روحي اللي عايش بيها ... اللي من غيرها ما يبقاش لي وجود .

أحست بحلاوة كلامه فقالت :

- ياه يا شوقي .... كلامك حلو .

- أنت اللي بتخليني أقوله .
- تصور إن أنا الوقتي بحبك أضعاف أضعاف الأول .
- ليه ؟
- حاسة إن أنا وأنت مش أتنين، إحنا إنسان واحد بروح واحدة وشعور واحد وإحساس واحد، بس في جسدين ... مش حقولك أنت الأصل وأنا الظل .. لأ، أحنا الاتنين أصل، وإن كان فيه ظل يبقي حد تاني مش إحنا .
- يا حبيبة قلبي وروحي، إيه الكلام الحلو ده ... تصوري إنك عبرتي عن أحاسيسي ... إحنا فعلاً بقينا خلاص روح واحدة، إذا انتهي حد فينا انتهي التاني .
- إنما قول لي يا حبيبي، ما فكرتش مرة إيه نهاية الحب ده ؟
- لأ .
- ليه ؟
- لأن حبي ليكي مالوش نهاية . . . حاموت وأنا بحبك .
- يعني حتفضل طول عمرنا متمسكين بالحرمان ؟
- عندك حل ؟

- للأسف ما فيش، ده قدرنا ولازم نرضى بيه، والحمد لله على كده...إلا إذا.
- إلا إذا إيه ؟
- إلا إذا القدر تدخل وغير الأمور .
- إزاي ؟
- واحد فينا إحنا الاتنين ينتهي . . . أنا أو حمدي .
- إزاي ؟
- يعني لو أنا مت .....صاح فيها :
- اسكتي . أرجوكي اسكتي .
- لازم أتكلم ... إنت خلتني أفكر كويس وأبقي إنسانة قوية يا أخي هو أنا مش تربيتك ؟ سيبني أكمل .

صمت ولم يتكلم . . . استمرت هي قائلة :

- لو أنا انتهيت حتبقي أنت خلاص لمراتك وبس ... ولو حمدي راح حيبقي مفيش مانع نتجوز .
- أنتي كنتي قدامي، وأنت بنت بنوت، وما اتجوزناش، حنيجي بعد ما بقيتي أم لثلاث أولاد كبروا، وأن عندي ثلاث أولاد كبار ونتجوز ؟
- إيه اللي يمنع ؟

- أولادنا، وأوضاعنا اللي حنكون فيها فيها كمسئولين عن الأولاد دول... شوفي أنت ماما الله يرحمها، ما رضيتش تتجوز بعد والدك ما مات وفضلت أنها تقعد من غير جواز وتربيكم .
- بس ماما الله يرحمها كانت بتحب بابا .
- ولو، أنتو كنتم السبب في عدم جوازها .
- عندك حق .
- الأمور كده موزونة، وماشية صح .
- صح ازاي يا أستاذ وإحنا محرومين من بعض ؟
- دي مشكلة ما يحلهاش إلا الزمن .
- حنكون كبرنا وعجزنا . . . وما نقدرش نتمتع بالحياة .
- مفيش حل يا أما نغلط يا إما نسيب الأمر للزمن ...
- نسيبه للزمن أحسن .

الفصل السادس

دارت عجلة الحياة ... كان عمرهما – محفوظة وشوقي – يمضي إلى التقدم، كما أن عمر أبنائهما كان ينمو . . .

دخل الأولاد المدارس، وصاروا في مراحل التعليم المختلفة، ورغم هذا لم يزل قلباهما ينبضان بالحب ... ويتقابلان كلما سمحت لهما الظروف .

كانا حريصين على اللقاء ... إنه عمل مقدس لكليهما يحافظان عليه، كما لو كانا يحافظان على الصلاة .

ذات يوم جلس شوقي وحيداً في مكانهما المعتاد ... وظل يحادث نفسه ... لقد مرت عليهما سنوات طويلة وهما غارقان في الحب، وفي نفس الوقت غارقان في الحرمان ... كان بوسعهما أن يخطئا، إلا إنهما استطاعا أن يحافظا على عدم الخطأ طوال هذه السنين .

والآن، قطار العمر يجري ولا يتوقف، فماذا بعد ؟ هل سيظلان هكذا تحت رحمة القدر ؟ إن القدر قد يتدخل في يوم من الأيام ولكنهما سيكونان كما قالت قد فقدا القدرة على الاستمتاع الكامل بالحياة ... فلن يصيبهم سوي الحرمان الذي ينتهي بقلة الإستمتاع

بالحياة ... خير له الآن أن يضع حداً لهذه المعاناة ... سوف يطلب مقابلتها ويناقشها في الأمر ... لابد أن يجد حلاً لمشكلة حرمانهما من الاستمتاع بنفسيهما ولكن ما هو الحل؟ هل تطلب الطلاق من حمدي؟ إنه أمر مستحيل بسبب الأولاد، هل الحل أن يقعا في الخطيئة ؟ إنه أيضًا أمر مستحيل ويأباه على نفسه وعلى نفسها . إن الأمر في غاية التعقيد ... ورغم هذا لابد أن يبحثه معها فقد يجدا حلًا .

فجأة تلقي منها هاتفاً، وأخبرته أن حمدي سوف يقوم بمأمورية عمل وسوف يقضي أسبوعاً في الإسكندرية . . . وجدها فرصة للقائهما بمنزلها والتحدث معها .

وكما تعودت، ذهبت بأولادها لدي أختها سلمى ... وقد كانت الرغبة في شوقي تؤرقها أيضاً، كانت تضغط على مشاعرها وأحاسيسها، وأقنعت نفسها أنه يكفيها حضنه وقبلاته.

ذهب شوقي إليها، وأغلق الباب خلفه، وجدها في ذلك اليوم في أبهي زينة، لم ينل منها الزمن شيئاً، بل أضاف إليها أنوثة مثيرة، نظر إليها نظرة المحروم الواله، نظرت إليه نظرة تفيض بالرغبة المشبوبة ... أخذها في حضنه، طوقت رقبته بذراعيها، وجعلت تقبله في شوق مشبوب بالرغبة، رفع يديها عن رقبته وقال لها :

- اقعدي عشان عايز أتكلم معاكي شوية .

جلست ... جلس بجوارها . قال لها :

- أنا فكرت كتير، والتفكير حيقتلني .
- في إيه يا حبيبي ؟
- في حالة الحرمان اللي إحنا عايشنها .
- إيه الجديد ؟
- أنا افتكرت كلامك ... الزمن بيجري بينا، والعمر بيجري برده، وحنبص في يوم من الأيام نلاقي نفسنا كبرنا وعجزنا ... حتى الزمن لو حل مشكلة الحرمان مش حنقدر نستمتع بالحياة استمتاع كامل زي أنت ما قلتي .
- ده شيء صحيح .
- يبقي لازم نشوف حل من الآن، وما نسبش نفسنا للظروف .
- طيب نعمل إيه ؟
- مش عارف، لكن لازم نفكر ونشوف حل .
- أنا تحت أمرك، شوف الحل اللي يرضيك وأنا موافقة عليه .
- فكري معايا .
- أنا ما أعرفش إيه الحل ... انت عايزنا نغلط ؟

- لأ .
- طيب يبقي إيه الحل ؟
- أنا حتجنن .. شوفي حل .
- انت عايز الحل إيه؟
- مش عارف .
- يمكن عايزني أطلق من حمدي ؟
- طبعًا لأ ده مش قصدي.
- أمال قصدك أيه ؟
- صدقيني مش عارف .
- ما أقدرش اهدم بيتي وأولادي .
- و مين يرضى بكده .
- و إيه العمل ؟
- شوفي حل .
- انا ما أعرفش ... شوف إنت إيه الحل اللي يرضيك وأنا تحت أمرك وموافقة عليه .
- حاجة من اتنين، إما نغلط وإما نفترق ونستريح .
- أنت بتقول إيه ؟ يا أخي يا قلبك .

قال بضيق :

- آمال إيه الحل ؟ عندك حل ثالث ؟
- إحنا إيه اللي جرى لنا ؟ مكناش بنفكر في الجنس، الوقتي بقى شغلنا الشاغل.
- ده تطور طبيعي لحبنا.
- يعني حيبقى مشكلة؟
- هو فعلاً بقى مشكلة.
- خلينا زي ما إحنا .
- كفاية بقي ... إحنا عايشين في عذاب بسبب الحرمان، يبقي أحسن نفترق وبلاش نتعذب .
- ويا تري يجيلك قلبك نفترق ؟
- الوقتي إحنا عايشين في عذاب وحرمان إنما لما نفترق حنعيش في عذاب بس .

قالت بمرارة:

- بس حيبقي عذاب العذاب .
- أقسم لك بحياتي، الموت أهون ... يا ريتني أموت واستريح.

صرخت فيه قائلة :-

- اسكت ... بعد الشر عليك يا حبيبي ... الدنيا كلها ما تساويش ظفرك ... أعمل أي حاجة ترضيك، وأنا موافقة .

قال بيأس :

- مفيش غير إن إحنا نغلط .
- – آه يا عذابي يانا . . . أعمل إيه ياربي ؟ هو أنا حاأفضل طول عمري أتعذب ؟ حرام . . . والله العظيم حرام . . . يا أخي شوف حل . . . أي حل . . . ما إحنا راضيين بحالنا كده .

قال بضيق :

- بش مش مستريحين ... راضيين غصب عننا ... أنا باتعذب وعارف أنك أنتي كمان بتتعذبي .
- ما أقدرش أقول لأ . . . أنا فعلاً باتعذب .
- يبقي لازم يكون فيه حل .

صرخت قائلة :

- هو أيه اللي حصل لينا ؟ مبقاش حاجة نتكلم فيها غير الجنس؟ إحنا كنا مستريحين قبل كده.
- ده شئ طبيعي ولازم يحصل.

- آه يا عذابي .... يادي العذاب اللي أنا فيه ... الموت أهون علي من العذاب ده ... يا سيدي أنا موافقة على أي حاجة ترضيك ... ما أنت عارف إن أنا باتعذب زيك وأكتر .
- وإيه اللي يغصبنا على كده ؟
- الظروف الزفت اللي إحنا فيها .
- وزفت ليه إحنا ممكن نخليها عسل .
- خليها يا خويا .

قام واقفاً ... قامت هي الأخري ... ضمها إليه في عنف ... خاصرته بقوة التقط شفتيها، وكاد يأكلها ... جعلت ترشف رحيق حبه، وتحسست جسده ... وظل يتحسس جسدها أيضاً تملكتهما الرغبة وأنستهما نفسيهما .

دفعها إلى حجرة النوم ... لم تمانع ... أوقعها على السرير نظر إليها وهي راقدة : هاهي الآن تحت إمرته، وانهارت مقاومتها، قد يكون بسبب حرمانها منه، وقد تكون ارضاءاً له . استسلمت له ليتصرف كيف يشاء تركت له الحرية ليفعل ما يراه ويريده، ولكنه كان مترددا لا يريد الخطأ، كما لا يريد لها الخطأ، وكان يتمنى أن تقاوم . لهذا قال لها :

- إيه رأيك ؟
- معرفش، أنا خلاص ما عنديش إرادة .
- يعني موافقة ؟

صاحت به :

- انت بتاخد رأيي ؟ قلت أنت حر .

رقد بجوارها، وطوقها بذراعية، وطوقته بذراعيها، وأغمضت عينيها، وكادت تتوه وتفقد وعيها . قال لها :

- إيه رأيك يا حبيبتي ؟

قالت بصوت واه :

- تاني ... اللي تشوفه .
- يعني ... ؟
- اللي يعجبك .

كان هذا يعني تردده في الوقوع في الخطأ، رغم استبداد الشهوة به... كان يتمني أن تقول لا، ولكنها أصبحت مسلوبة الإرادة قال:

- آه ... بحبك ... خلاص مش قادر أستحمل أكتر من كده .
- بحبك يا شوقي ... بحبك .

كانا في صراع مع الضمير ... فجأة وكأنما كانت في غيبوبة وأفاقت منها فصاحت .

- لأ ... لأ يا شوقي ... إحنا كده حنغلط ... عذاب الحرمان أرحم.

ونهضت من على السرير واقفة، وخارت قواها، وجلست على الأرض، وظلت تبكي .... نظر إليها ودمعت عيناه .... تنهد وقال:

- الحمد لله .

أصبح جسداهما كقطعة من الثلج، ماتت الرغبة ... قام وقال لها:

- أشوف وشك بخير .

لم ترد عليه ... خرج وأغلق الباب وراءه ... ظلت جالسة القرفصاء واضعة وجهها بين كفيها، وجعلت تنتحب وأخيراً هدأت نفسها ووجدت نفسها تقول : الحمد لله ... كنا حنغلط غلطة عمرنا ... غلطة استحالة تتصلح ... مش عارفة لو كنا غلطنا كان حيبقي شكلنا إيه ؟ وكنا حنبص لبعض إزاي؟ . . . لأه كده أحسن . . . فراق ؟ زي بعضه فراق فراق، المهم إن إحنا ما نغلطش ... هو علمني الصح، وإزاي أكون إنسانة قوية ... خلاص بقي حا أبقي قوية وأتحمل فراقه لكن ما نغلطش .

كرامتي ما تسمحليش بالغلط وكمان ما أرضاش أعمل حاجة تغضب ربنا ... هو صحيح مشي بس في حاجة غريبة، أنا حاسة إن مش دي النهاية، وإن إحنا حنتقابل تاني، بس أمتى الله أعلم.... عشان كده أنا مطمئنة ومش قلقانة، ومش معقول الحب اللي بينا ده كله ينتهي بسبب الجنس، لابد حيجي ياليوم اللي نرجع فيه لبعض تاني، وإن شاء الله حيكون قريب وعشان كده أنا مطمئنة ومش قلقانة.

كان الصراع عنيفاً بين الرغبة والدين، رغبة جامحة بعد حرمان طويل، ودين يقف حائلاً وسداً منيعاً ويمنعهما من الخطأ، وفي النهاية كانت الغلبة للدين، أخيراً، قامت وذهبت إلى الحمام، واغتسلت وارتدت ملابسها، وذهبت إلى أختها ... نظرت إليها سلمى فوجدتها شاحبة اللون منهوكة القوى . قالت لها :

- مالك يا محفوظة ؟
- حاسة بتعب .
- حاسة بإيه ؟
- مش عارفة، جسمي تقيل ومخدل، وعايزة أنام .
- طيب خشى نامي قد ساعة لغاية ما تستريحي .
- لأ، أنا حا أخذ تاكسي وأروح .

أخذت أولادها، واستقلت سيارة أجرة وعادت إلى منزلها، وعندما كانت في منزلها احتضنت أولادها وطلت تقبلهم والدموع في عينيها .. قال لها أولادها :

- فيه إيه يا ماما ؟
- ما فيش حاجة يا حبايبي، تعبانه شوية وعايزة استريح، روحوا أودتكم وسيبوني أنام شوية وأنا حبقي كويسة .
- حاضر يا ماما .

تركها أولادها، فدخلت حجرة نومها، وألقت بنفسها على السرير، وتنفست الصعداء قائلة :

- الحمد لله ... هو صحيح مشي وسابني، بس كده أرحم من الغلط وغضب ربنا،

عندما خرج شوقي من منزل محفوظة، كان قلبه كقطعة من الثلج، ولم يعد يشعر بالرغبة الملحة في محفوظة، بعد أن كانت بين يديه وتحت أمره، ووقف الضمير والدين حائلان بينهما وبين الخطأ ... أنقذاهما في أخر لحظة من الوقوع في الخطأ. استراح ضميره، ولم تعد الرغبة المشبوبة تؤرقه . الفراق أهون عليه من الخطأ ... ليدع الزمن والقدر يفعلان ما يشاءانه، وليحدث ما يحدث .

سار على غير هدى، قادته قدماه إلى كورنيش النيل، جلس على أحد المقاعد ... وضع رأسه بين كفيه، وأغمض عينيه وراح في تفكير عميق ... لقد كان على حافة الخطيئة وهو الآن في حيرة ما بعدها حيرة، لقد استطاعا هذه المرة أن يفيقا قبل الكارثة .. لكن ماذا بعد؟

هذه هي المرة الثانية التي يقرر فيها هجرها، الأولي كانت ليعطيها الفرصة لتتفرغ لبيتها وزوجها أما هذه المرة فهي هروب من الوقوع في الخطأ.

فجأة وجد يداً توضع على كتفه، رفع رأسه فإذا به يجد الرجل العجوز الذي سبق أن قابله في هذا المكان .. قال الرجل باسماً :

- أزيك يا إبني وعامل إيه ؟
- الحمد لله يا عمي .
- شايفك النهارده حزين بس من غير بكاء .
- حزين أوى يا عمي .
- أنت رجعت لها ؟
- أيوه .
- عشان كده . . إيه اللي حصل ؟
- رجعنا لبعض، وبنموت في بعض، لكن محرومين .

- طبعاً، مش هي متجوزة وأنت متجوز .
- أيوه يا عمي .
- يبقي الشيطان السبب .
- لأ يا عمي، الشيطان ما غلبناش، وإحنا اللي غلبناه، ما غلطناش لحد دلوقتي .
- لو استمريت معاها الشيطان حينتصر .
- عشان كده سبتها لتاني مرة .
- ابعد . . ابعد عن موضع الخطر . . اوعي تغلط عشان ما تندمش في المستقبل، وبص لمراتك وعيالك، دول اللي حيمنعوك من الغلط،
- إحنا الاتنين مش عيزين نغلط
- عشان كده بقول لك عنكم انتو الاتنين أولاد أصل عشان ماسكين نفسكم.
- الحمد لله يا عمي، وأحنا الاتنين عندنا إرادة.
- بس كل شئ وله حدود وعشان تبقوا في أمان لازم تفترقوا، لانكم لو أجتمعتم تاني الشيطان حينتصر.
- حاضر يا عمي، حا ابعد بس عايز أسألك سؤال ؟
- إيه ؟

- دي تاني مره أشوفك فيها وأنا باكون في عز أزمتي، وأنا مش عارف أنت مين .
- أنا ضميرك يا ابني .
- ضميري ؟
- أيوه . . بص هناك .

نظر شوقي في حيث أشار الرجل فلم يجد شيئاً، ثم عاد ببصره فلم يجده.

هل كان هذا خيالاً وتصورًا منه أم أنه حقيقة ؟ قد يكون خيالاً وقد يكون واقعًا صوره له خياله.

الفصل السابع

ودارت عجلة الحياة ... لم يحاول أن يلقاها أو يهاتفها ... ولم تحاول هي أيضاً ... استطاعا أن يحبسا عواطفهما، فقد أدركا أنهما لن يستطيعا الاستمرار في علاقتهما بدون خطأ، ولهذا قررا الابتعاد عن موضع الخطر، عملاً بمبدأ "الباب اللي يجيلك منه الريح سده واستريح" ... فقد قاما فعلاً بإغلاق الباب .. لكنهما لم يستريحا .

كانا يكابدان الهوي، ولكنهما استطاعا أن يتحملا المعاناة ... كان شوقي يصب حبه وحنينه إلي محفوظة في زوجته فضيلة . . كان دائماً يداعبها ويلاطفها ... إنها جميلة ومخلصة، وماهرة في شئون بيتها، إنها زوجة مثالية قل أن يوجد مثلها، فضلاً عن حبها له ... كانت فعلاً تواسيه دون أن تدري .. كانت فعلاً دواءه من دائه ... واستطاعت أيضاً دون أن تدري أن تجعله يتحمل لوعة فراقه لمحفوظة... وساعده أيضاً في ذلك حبه الشديد لأولاده وتعلقهم به ومداعبتهم له . أما محفوظة، فقد ازداد حبها وعطفها على حمدي، خاصة بعد أن زادت عليه وطأة المرض ... وأصبح مريضاً بالإضافة إلى

مرض السكر، ضغط الدم وضعف في القلب بسبب قصور في الشريان التاجي .

كانت تحاول أن تجد فيه شوقي، وأحس هو بذلك العطف والحب فإزداد تعلقه بها، وكان يقول لها :

- أنا بحبك قوي يا محفوظة .
- أنا عارفة يا حمدي .
- يا تري بتحبيني قد ما بحبك ؟
- طبعاً يا حمدي، هو أنا مش مراتك وانت جوزي، وأبو أولادي.
- ربنا ما يحرمنيش منك .
- ويخليك لي .

قنعت بأن هذا هو قدرها ونصيبها في دنياها، تزوجت من لم تحبه وأحبت من لم تتزوجه ... ولكنها الآن تحب حمدي ... حباً أساسه كونه زوجها، ووالد أبنائها، وكونه أيضاً أصبح مريضاً ويحتاج إلى عطفها ورعايتها وكما عايشته في سرائه فلا بد لها أن تعايشه في ضرائه ... أصبحت أكثر إخلاصاً لزوجها وبيتها، ومراعاة لشئونها... لعل في هذا يكون عوضًا لها عن شوقي .

ودارت عجلة الحياة ... عندما كان حمدي يسافر في مأمورية عمل، كانت تقضي وقتها مع أولادها في المنزل أو تصحبهم للنزهة في الخارج، أو تذهب بهم إلى أختها سلمى، وتقضي معها معظم الوقت... ولم تعد تتصل بشوقي أو تلقاه أو تهاتفه.

ورغم هذا كله ... كانت أحياناً كثيرة تجلس وحيدة، تسرح بخيالها، وتستعيد ماضيها مع شوقي، منذ أن رأته أول مرة في ليلة خطبة أختها سلمى، هو وزوجته فضيلة، وأحست ساعتها أنه سوف يكون له معها شأن، رغم أنه كان وقتئذ متزوجاً وأباً لاثنين ... لقد اعجبت به وبزوجته وبمدى التفاهم والانسجام بينهما، ساعتها تمنت لو تزوجت رجلًا مثله ثم انقلب الإعجاب إلى حب شديد، وتستمر في تذكر بقية الأحداث عندما تقابلا أول مرة في الطريق عند عودتها من عملها، وكان الجو حاراً ودعاها إلى تناول شيء مثلج، ولم تمانع ... ثم توالت بعد ذلك الأحداث إلى أن أصبحت إلى ما هي عليه الآن .

إنه إنسان رائع في كل شيء ... اختفي من حياتها حتى تستقيم أمورها مع زوجها، وقد كان، استقامت أمورها مع أسرتها ...

اختفي في الوقت المناسب وظهر في الوقت المناسب، ثم اختفي في الوقت المناسب أيضاً، إنه الشخص الوحيد الذي غاص في أعماقها،

واستطاع أن يخرجها من محنتها بسبب جمالها المفرط ... كان دائماً يهديها إلى الطريق الصواب، ولم يكن ينظر إليها كجسد جميل فقط، بل عاملها كإنسانة لها قلب ومشاعر ... وكان الجنس أبعد ما يكون عن خيالهما، ولم يفكرا في الجنس إلا بعد رحلة طويلة من السنين، وكان هذا أمراً طبيعياً، فهو قبل كل شيء وأخر كل شيء رجل ... وهي الأخرى أنثي ... وأي أنثي ... كما أنها كانت تحب فيه الرجولة والعفة، ولكن بعد هذا العمر الطويل زالت بينهما الحواجز تماماً وذابت الفوارق ولابد أن يكون لحبهما وجه أخر ... كان هذا الوجه هو الجنس، حدث هذا دون أن يدريا ... وليس هذا أمراً شاذاً وغريباً بل هو الشيء المنطقي الذي لابد أن يحدث، فهما ليسا ملكين منزوعي الرغبة، وإنما هما من البشر الذين خلقهم الله ولديهم الرغبة في خلقتهم إنهما معذوران أن حاولا أن يتوجا حبهما بإشباعهما لرغبتهما، ولكن الضمير والدين وقفا حائلاً دون ذلك، وليس هناك مفر من الرضا بالقضاء والقدر .

لقد تطورت علاقتهما إلى أن أصبحت على النحو الذي يمارسانه، وهو تطور طبيعي، وليس امرًا شاذًا، فمن غير المعقول أن تكون علاقتهما على هذا النحو ولا تتطور إلى الجنس.

كان ولداها يذهبان إلى مدرستهما، والصغيرة الشيماء كانت سيارة الحضانة تأتيها ... أما هي فقد تسلمت العمل بعد انتهاء أجازات الوضع ورعاية الطفل التي حصلت عليها من عملها واعتادت أن تسير في طريق مخالف لما كانت تسير فيه من قبل حتى لا تلتقي بشوقي، كما اعتاد هو أيضاً أن يغير طريقه مخافة أن يلتقيا .

كانا لا يحاولان أن يلتقيا، مع أنهما في قرارة نفسيهما يودان أن يلتقيا ... بل ويتمنيان أن تجمعهما الأقدار ... فإن شوق كل منهما للأخر وحنينه إليه يؤرقه، بل ويعذبه، ولكنهما أصبحا الآن على حافة الهاوية لو تلاقيا، فإن اعتقادهما أنهما لن يستطيعا كبح جماح رغبتهما . ولهذا آثرا السلامة ببعدهما كل منهما عن الآخر .

أصبح الأستاذ أنور هو رئيس قسم الشطب بعد إحالة السيدة كوثر والأستاذ سعد إلى المعاش، وبقي الأستاذ مصطفي والزميلتان وموظف وموظفة آخران تم يعينهما .

كانت صامتة دائماً ... قليلة الكلام وقد وضع صمتها هذا سياجاً حولها، مم جعل من يتعامل معها يحسب لذلك حسابه، وعند انتهاء يوم العمل تسرع خارجة متوجهة إلى منزلها متلهفة على أولادها.

في صباح أحد الأيام رن جرس الهاتف على مكتب الأستاذ أنور، رفع السماعة، وما أن سمع ما قيل له حتى امتقع وجهه، ونادي عليها قائلاً :

- اتفضلي يا مدام محفوظة روحي عشان عايزينك في البيت .

قالت بانزعاج :

- مين اللي كان بيتكلم ؟
- واحد أسمه الأستاذ أحمد أخوكي .
- قال فيه إيه ؟
- ما قالش، إنما قال لي لو سمحت خليها تروح على طول...

غادرت مكتبها، خارجة إلى منزلها مستقلة سيارة أجرة ... وما أن وصلت إلى المنزل حتى وجدت تجمعاً حول شقتها. صاحت:

- إيه ؟ فيه إيه ؟

قال أحمد :

- مفيش، الباشمهندس حمدي تعبان شوية، وراح المستشفي، وأخته آمال معاه .

ذهبت مع أخيها إلى المستشفي، وجدا الدكتورة آمال –أخت حمدي– وزوجها التي أخبرتها إن شقيقها حمدي بالعناية المركزة ولا يمكن لأحد أن يزوره فحالته حرجة . سألتها محفوظة :

- فيه إيه يا دكتورة آمال ؟
- أزمة في القلب، هبوط حاد في الدورة الدموية .
- وهل الأزمة دي خطيرة ؟
- ربنا يستر، القلب يكاديكون متوقف والدكاترة بيحاولوا معاه.
- ودي من إيه يا آمال، إيه سببها ؟
- دي حاجة بتاعة ربنا .

مر عليها يومان عصيبان انتهيا بوفاة حمدي، عندما أخبروها بوفاته، صرخت قائلة :

- حمدي .

ثم سقطت على الأرض متهاوية ... أصابها ذهول .. لم تتوقع أن تكون الفجيعة قاسية إلى هذا الحد صارت تهذي ... مات حمدي ... مات الرجل الطيب ... كان كل من حولها يواسيها ... أخوها أحمد، وأختها سلمى وزوجها، وشوقي وزوجته، وخالتها وزوجها، فجأة صمتت ... ولم تعد تتكلم . .

في سرادق العزاء حيث قام أخوها أحمد وسمير زوج أختها سلمى وشقيقه شوقي وزوج خالتها بكل ما يلزم ... جلست صامته ... تبكي في صمت، ولا ترد على من يحادثها ... كانت تفكر في حمدي ... الرجل الطيب الذي أحسن عشرتها طوال حياته، وكان يتفاني في إرضائها، ويرضي من حبها بالقليل، وكان سعيداً بذلك كل هذا جعلها تنتحب في صمت، تذكرت ليلة خطبتها عندما قال لها أنها لن تندم على قبولها زوجة له وقد صدق وعده، بعد انتهاء مراسم العزاء، وذهاب كل إلى سبيله، تجمع حولها أختها وزوجها سمير، وشوقي وزوجته فضيلة، وأخوها أحمد . حضر أولادها الثلاثة، أخذتهم في حضنها جعلت تقبلهم في حنان ... قال لها شوقي :

- ربنا يخليهم لك ويخليكي لهم .

قال أحمد :

- يا محفوظة أنت إنسانة قوية، ومؤمنة بقضاء الله، والبركة فيكي.

قالت سلمى :

- بصي لعيالك مالهمش غيرك .

قالت هي :

- فعلاً، الأولاد الوقتي مالهمش غيري .. مش لازم أضعف .

قال شوقي:

- ربنا يخليكي لهم .... وإحنا أتعودنا عليكي إنسانة قوية من الصعب إنها تتهز .

قالت :

- المصاب كبير يا أستاذ شوقي .

قال :

- ربنا يقدرك ... ومش محفوظة اللي إحنا عارفنها اللي ما تقدرش تواجه المصاعب .

قالت :

- التاريخ بيعيد نفسه، ماما الله يرحمها بابا مات وسابنا أطفال صغيرين وعاشت لنا وربتنا .

قالت فضيلة :

- بقي لك يومين تعبانة ... خدي عيالك في حضنك واستريحي بقي من التعب .

قالت :

- الحمد لله ... زي ماما ما عملت أنا كمان حا أعمل .

قال شوقي :

- فضيلة وسلمى يقعدوا معاكي وإحنا نمشي .

قالت :

- حيقعدوا ليه ؟

قال :

- جايز تحتاجي حاجة .

قالت :

- ما تخفوش على، أنا قوية وأقدر أتحمل الصدمات

ونظرت إلى شوقي وقالت :

- كتر خيره اللي علمني إزاي أتحمل المصاعب،

ظن الجميع أنها تقصد أمها بكلامها . قال سمير :

- الله يرحمها كانت ست عظيمة .

قال شوقي :

- المفروض نسيبها عشان تستريح، خليكي معاها يا سلمى أنت وفضيلة.

قالت محفوظة بإصرار :

- لأ ... كل واحدة تروح وتشوف جوزها وعيالها ... أحمد بس اللي حيقعد معايا ... اللي راح راح ومفيش حاجة حترجع تاني .

وانصرف الجميع ...

مرت عدة أيام .. سارت أمور حياتها كما تسير الحياة، مكث أحمد معها أسبوعاً، وأصر بعد ذلك إن يعود إلي شقته رغم إلحاحها عليه أن يظل معها ... أصرت على أن تكون قوية لا تهتز للمصاب الأليم حتى لا تبدو ضعيفة أمام الغير كما هي عادتها .

تعمد شوقي أن يلاقيها انتظرها بعد ميعاد العمل وجدته في انتظارها ... لم تعترض، سارت معه صامتة ... صاحبها إلى مكانهما الذي اعتادا أن يلتقيا فيه . . جلسا كل منهما في مواجهة الآخر .

قال لها :

- شدي حيلك .
- كله على الله .
- البركة فيكي وفي أولادك، اللي خلف ما متش .
- الحمد لله، أنا قوية ما تخافش على ... مش أنا برده تربيتك؟
- طول عمرك إنسانة عظيمة .
- زي أنت ما قلت، كل شيء مصيره للزوال .
- دي سنة الحياة .
- حمدي مات يا شوقي .
- الله يرحمه . . . البركة فيكي ويديكي طول العمر .

- كان فعلاً إنسان محترم . ما شفتش منه حاجة وحشة .
- فعلاً كان إنسان بمنعي الكلمة .
- حتسيبني ؟
- –طبعا لأ ؟
- ليه ؟
- عشان ما تبقيش لوحدك... الأول كان معاكي حمدي وكنت مطمئن عليكي.
- متشكرة .
- هو إيه اللي متشكرة هو فيه بينا شكر ؟
- أمال أقول إيه ؟
- مفيش حاجة اتغيرت إحنا زي ما احنا .
- يلا بينا نروح عشان الأولاد .

نهضا وانصرف كل منهما إلى حاله .

* * *

ودارت عجلة الحياة ... أصبحا يتقابلان كسابق عهدهما، وخفت الأحزان وكادت تتلاشي بفعل الزمن، وبدأ كلام الحب يطفو فوق حديثهما وخفق قلباهما أكثر ذي قبل . قال لها يوماً .

- عايز أجيلك البيت .
- ليه ؟ ما إحنا بنتقابل هنا .
- أسألك بصراحة، أنتي شايفة ده كفاية ؟
- طيب لو جيت البيت حتعمل إيه ؟
- على الأقل أقدر أحضنك وأبوسك .
- ما ينفعش .
- ليه ؟
- ممكن نغلط، وإحنا من الأول مصممين على إننا ما نغلطش .
- حنرجع للحرمان تاني ؟
- عندك حل ؟
- نفكر مع بعض . . ممكن نتجوز ؟
- ما أنت سبق وقلت إن الأولاد مانع بيني وبينك .
- طبعاً . . . هم العقبة .
- أكيد .
- اشمعني الوقتي ممكن نتجوز ؟ كان في الإمكان إن إحنا نتجوز قبل ما أتجوز حمدي .
- مكانش ينفع .

- ليه ؟
- لو كنا أتجوزنا كنا حنجيب أولاد .
- وإيه المانع ؟
- أنا كنت متجوز وعندي أولاد، ومش محتاج لأولاد تاني عشان ميبقاش فيه مشاكل وتشتيت بين الأولاد وكان لازم أنت تتجوزي ويبقي عندك أولاد زي أي ست كمان فيه حاجة مهمة، الجو أيامها مكانش يسمح، هل كانت مامتك الله يرحمها حتوافق على الجواز من واحد متجوز ؟ وهل أختك سلمى كانت حترضي على كده ؟ وفضيلة كان حيبقي موقفها إيه ؟
- معني كلامك إن الجو النهاردة يسمح بجوازنا ؟
- طبعاً مفيش بينا أولاد، يعني إحنا الاثنين لبعض وبس، ومحدش حيشاركنا في حيتنا .
- ده رأيك ؟
- أيوه .
- حنتجوز إزاي ؟
- في السر .
- إزاي ؟

- أنت في بيتك مع أولادك وأنا في بيتي مع اولادي، ولما نتقابل ما نبقاش محرومين من بعض .
- و تفضل الأمور كلها في السر ! !
- تمام، حتى لو واحد فينا مات ما حدش حيعرف حاجة .
- والله فكرة وإزاي حنفذها ؟
- أنا حتصرف .

انصرف كل منهما إلى وجهته ... طلب شوقي أخاه سمير، وجلسا في مكان منزو وحيدين، قال له شوقي :

- اسمع يا سمير .. انت أخويا اللي ماليش في الدنيا غيره .
- طبعاً يا شوقي . . . أنت أخويا الكبير وفي مقام والدي الله يرحمه .
- عايز أقولك على سر مفيش مخلوق يعرفه، وعايزك تكتمه .
- طبعاً .
- أقسم لي .
- أقسم بالله إني حاحافظ على سرك لأنك أخويا الكبير اللي ماليش غيره .
- أنا بحب محفوظة من زمان وعلى علاقة شريفة بيها .

فوجئ سمير، وقال في دهشة :

- بتقول إيه ؟ على علاقة بمحفوظة ؟
- أقسم لك علاقة شريفة .
- وبعدين ؟
- نوينا نتجوز .
- إزاى يا شوقي ؟ ومراتك وعيالك ؟
- كل شيء حيفضل زي ما هو مفيش حد حيعرف حاجة ومفيش حاجة حتتغير ... هي في بيتها ومع أولادها وأنا مع أولادي في بيتي .
- وهي دي تبقي عيشة ؟
- إحنا راضيين بكده .
- إزاي يا شوقي ؟ أمال يبقي جواز إزاي ؟
- عادي يا سمير .
- إزاي حتقعدوا مع بعض ؟
- حنتصرف .
- إزاي ؟
- يا أخي مش حنغلب، ناخد شقة مفروشة .
- لو خلفتوا ؟

مش حنخلف ... اتفقنا على كده .

- طيب وإيه المطلوب منى ؟
- حتروح معانا عند مأذون يكون بعيد عن هنا، ونكتب الكتاب وتكون أنت الشاهد عليه .
- طيب والشاهد الثاني .
- يا سيدي المأذون يجيبه .
- حاضر يا شوقي، وقت ما تحب أنا تحت أمرك.

قابل شوقي محفوظة قال لها :

- عايزك تحضري قسيمة جوازك من حمدي وشهادة وفاته .
- موجودين .
- على فكرة أنا قلت لسمير أخويا على جوازنا .
- يا خبر ... ليه يا شوقي ؟
- لازم أخويا يكون عارف، تحسباً للزمن .
- يعني حيحصل إيه ؟
- اللّه أعلم . . . لكن كده أحسن .
- اللي تشوفه . . . وبعدين ؟
- حنروح لمأذون ونكتب الكتاب .
- و مين اللي حيشهد ؟

- سمير، الشاهد الثاني من عند المأذون .
- وبعد كتب الكتاب ؟
- حناخد شقة مفروشة لمدة أسبوع .
- وبعدين ؟
- زي ما إحنا، كل ما يكون فيه ظروف تسمح حنتقابل، إما في شقتك يا إما نأجر شقة لمدة أسبوع .
- اللي تشوفه صح أعمله .

وعندما تقابلت مع سمير، نظرت إليه بثبات وقالت له :

- أوعي تفكر تفكير وحش .
- إزاي يا محفوظة ؟
- إحنا ما غلطناش ... زي ما قال لك نعرف بعض من زمان، لكن والله العظيم ما غلطنا .
- أنا عارف أخويا شوقي إنسان وأنتي ست محترمة وأنا متأكد انكوا لا يمكن تغلطوا .

واتفقا على الميعاد . توجه الثلاثة إلى مأذون خارج نطاق الحي الذي يقيمون فيه ... وتم عقد قرانهما، شهد عليه سمير وأحد معارف المأذون .

كان شوقي قد استأجر شقة مفروشة لمدة أسبوع في مكان بعيد، انصرف سمير وتركهما ... توجه شوقي بصحبة محفوظة إلى هذه الشقة دخلا وخلع كل منهما ملابسه الخارجية .

نظر إليها بابتسامة ... نظرت إليه باسمة ... فتح لها ذراعيه، وارتمت في أحضانه . قالت له :

- المرة دي مفيش غلط .
- الحمد لله ... أنت روح وحياتي .
- وأنت روح روحي وحياة حياتي .

دخلا حجرة النوم وأغلقا الباب ...

النهاية

صدر للمؤلف

١- رمانة ..... رواية.

٢- سيدتي المجنونة..... رواية.

٣- الأختان..... رواية.

٤- حب فوق مستوى الحب..... رواية.

٥- أعطني قلبك أعطيك جسدي..... رواية.

٦- روح وحياة..... رواية

للتواصل مع المؤلف

٠١١٥٥٣٦٣١٦١
٠١٢٨٢٢٥٤٩٣٨